

ⵜⴰⴷⵓⴷⴰ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⵜ ⵜⴰⴷⵓⴷⴰ

ⴰⴳⵓⴷⴰ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⵜ

ⵜⴰⴳⵓⴷⴰ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⵜ

ⴰⴳⵓⴷⴰ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⵜ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⵜ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⵜ



المملكة المغربية

المعهد الملكي

للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسociولوجية

سلسلة دراسات - رقم 8 -

جامع بندير

مهرجان بيمشار بتيزنيت



2007

مهرجان ۽ یمعار
بشزیت

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية
سلسلة دراسات رقم : 8

العنوان	: مهرجان إيمعشار بتيزنيت
المؤلف	: جامع بنيدير
المراجعة العامة للنص والتقديم له	: الحسين أيت باحسين
كتابة نصوص الملاحق بتيفيناغ	: حكيمة بوخريص
الناشر	: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
الإخراج والمتابعة	: مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل
تصميم الغلاف	: نادية قيدي - وحدة النشر
المطبعة	: مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
رقم الإيداع القانوني	: 1 - 81 - 439 - 9954
ردمك	: 2007/1512
© حقوق الطبع	: محفوظة للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

ⵜⴰⵎⴻⵔⴰⵏ ⵜⴰⵎⴻⵔⴰⵏ
ⵉⵏⵉⵎⴰⵏ ⵉⵎⴻⵔⴰⵏ
ⵉⵏⵉⵎⴰⵏ ⵉⵎⴻⵔⴰⵏ
ⵉⵏⵉⵎⴰⵏ ⵉⵎⴻⵔⴰⵏ



المملكة المغربية
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات الأنثروبولوجية
والسوسولوجية

مهرجان عيمعشار ببنزيت

جامع بنيدر

شكروامتنان

أن يصبح المرء ذات يوم محالا على المعاش معناه : أنه مستغنى عنه وعن خدماته التي لم يعد مؤهلا لأدائها. هذا ما يقرأه في ذلك بعض من نالته مقتضيات هذه المحطة أو نالها. فيضع لذلك عدته وأدواته وينسحب كليا من معترك عمله.

وأن يأتي أحد بعد أن نلت هذه المحطة أو نالتك، فيعيدك، بشكل من الأشكال، إلى هذا المعترك، معناه : تحويل النهاية التي تفترضها الإحالة على المعاش إلى بداية جديدة، ربما أكثر حماسا وتبصرا من ذي قبل. وهذا ما فعله بي الصديق والزميل الأستاذ الحسين أيت باحسين، وبهذه العودة، أو البداية الجديدة أمتن له كل الامتنان، إذ أسفرت إحدى دردشاتي العرضية معه عن توريطي، مشكورا، في الاشتغال لإنجاز هذا العمل الذي كانت النية في إنجازه ملازمة لي على الدوام، وهو ما لم تسفر عنه الدردشات المنظمة الطويلة التي كنا نهدها أيام اشتغالنا معا في استعراض قواعد وأشكال كتابة "الهمزات".

ممتن كذلك للصديق الأستاذ الحسين وعزي الذي تتبع عن كتب سير اشتغالي على هذا الموضوع، وظل يحثني دونما كلل على إتمامه. والشكر والامتنان الصادقان موصولان أيضا إلى السيدة حكيمة بوخريص التي تجشمت ما تجشمت في كتابة النصوص بحرف تيفيناغ وإلى الإخوان العاملين بمركز الدراسات الانتروبولوجية والسوسيولوجية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ولكل من ساهم في إخراج هذا العمل ووضعه في متناول القارئ.

[illegible]

تقديم

تزخر مناطق الجنوب المغربي، وتحديدًا إقليم سوس، بحواضره وبيواديه، بظواهر ثقافية احتفالية متعددة ومتنوعة كغيره من المجتمعات التي تأصل استقرارها لقرون عديدة هنا أو هناك، وفي هذا المجال الجغرافي أو ذاك. وتختلف هذه الظواهر في جزئياتها ومتغيراتها داخل مجال هذا الإقليم من حاضرة إلى بادية، ومن قبيلة إلى أخرى، رغم وحدة موضوعها وظروفها الزمانية والمكانية والمناسباتية، وربما رغم وحدة مقاصدها ووظائفها. وهي تخضع لأشكال من التغير الذي يطالها بوتيرة متفاوتة التسارع، لا بد أنها تخضع بدورها لقوانين معينة، تختفي وفقها، أو تتحول هذه الظاهرة الثقافية أو تلك، أو تخفت، أو تنتعش، أو تظل ثابتة أو تكاد، كليًا أو جزئيًا.

ويبدو أن تنوع هذه الظواهر يعكس، فيما يعكس، تنوع المجال الجغرافي للإقليم من جبال إلى وهاد إلى سهول وبحر وصحاري، وما يترتب عن ذلك من تنوع في المناخ، وتفاوت أو تنوع في مستويات التعامل مع هذا التنوع. وتعكس أيضًا، ربما تنوع أشكال استجابة الساكنة، على مدى العديد من القرون، لمطالب التكيف مع تنوع هذا المجال، وفي الوقت ذاته مع التغيرات الطارئة عليه، عبر المدى نفسه، ذات الطابع الاجتماعي، السياسي والاقتصادي، أو ذات الطابع الثقافي اللغوي والديني، أو الحضاري بشكل عام، وذلك على افتراض أن الظواهر الثقافية تلك هي أشكال من استجابة التجمعات السكانية لتحدي الطوارئ والتغيرات تلك، ولأشكال تأثيرها على موارد عيشها.

ننصرف عن مثل هذه الافتراضات وما تقتضيه من تمحيص إثباتات أو نفيًا. فذلك ما لا يرقى إليه هذا التقديم، لنشير إلى أن من هذه الظواهر الثقافية، ما لفت أنظار المهتمين بالمجتمع المغربي عامة والشأن السوسيوثقافي خاصة. وانصب الاهتمام السوسيوثقافي على الظواهر الاحتفالية خاصة منها احتفالية "عاشوراء" وصفًا ومحاولة لفهم طقوسها ودلالاتها. ولم يقتصر هذا الاهتمام على الباحثين الأجانب⁽¹⁾ كما هي العادة، بل شد انتباه المؤرخين والأدباء وكذا

(1) يمكن العودة على سبيل المثال إلى هذه المصادر:

AUBIJN, Eugène : Le Maroc d'aujourd'hui, Librairie Armand Colin, Paris 1908.

BRUNOT, L. : Textes arabes de Rabat, Librairie Orientaliste, Paris, 1952.

BRUNOT, L. et Mohamed BEN DAOUD : L'arabe dialectal marocain, 2è édition, Rabat, 1932.

CASTELL, F. : Note sur la fête de l'Achoura à Rabat, Archives berbères, 1916.

DEVERDUN, Gaston : Marrakech des origines à 1912, ED. Rabat, 1959.

DOUTTE, Edmond, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord, Alger, 1909.

DOUTTE, Edmond, Marrakech, Comité du Maroc, Paris, 1905.

الفقهاء المسلمين عامة والمغاربة خاصة⁽²⁾ ممن قاموا بدراسات مختلفة المناهج والمقاصد، ومتباينة المقاربات المنهجية، ومتفاوتة العمق والقيمة العلمية.

غير أن التوجه الرسمي، منذ الاستقلال، وربما قبل ذلك وعلى الدوام كان إلى تعهد ظواهر ثقافية معينة ورعايتها، وتشجيع ممارسة طقوسها، ومقابل ذلك إلى محاربة صنف آخر من هذه الظواهر ومنعها، وفي أحسن الأحوال إلى عرقلتها، وربط ممارستها بالشروط التي يتعذر معها استمرارها، وذلك بمبررات مختلفة وتعلات تلابس طقوسها ومراسيمها بقدر ما تلابس وتكتنف طقوس ومراسيم الظواهر الاحتفالية المتبناة من هذا التوجه.

وتستند هذه المبررات على خلفيات إيديولوجية غير معلنة، أو مموهة في حالة إعلانها، باعتبار دينية أو سياحية أو تجارية أو ما إليها، وذلك عند إحياء ورعاية المواسم والفرجات الشعبية المتبناة، فيما تكون معلنة بقوة، إذا كانت ذات صبغة دينية، عند الإقدام على حظر تنظيم هذه التظاهرة الاحتفالية أو تلك، أو عند التمهيد لهذا الحظر. إذ ما أسهل نعت طقوسها ومراسيمها بالبدع، أو بمخلفات الديانات الوثنية أو بالتأثيرات الواردة من المجوسية أو اليهودية أو المسيحية أو من غيرها من الملل والنحل.

وبمبررات وخلفيات من هذا القبيل دأبت جهات لا مسؤولة على التلويح بمنع تنظيم إحدى أعرق الفرج الشعبية بتيزنيت حاضرة وبادية. ويتعلق الأمر بظاهرة "عيمعشار" التي يقترن إحيائها بعاشوراء، بما هي مناسبة وذكرى محاطة بتصورات وطقوس ذات مرجعيات متنوعة. وكان المنع قد طال تنظيم هذه التظاهرة لعدة سنوات لأسباب أمنية قبل أن تتراجع السلطات عن قرارها وتسمح بإعادة إحيائها.

(2) يمكن العودة على سبيل المثال إلى هذه المصادر:

ابن ابراهيم، عباس: الإعلام بمن حل بمراكش وأغमत من الأعلام، ط. 1، المطبعة الجديدة، فاس، 1938.
ابن الصديق، أحمد: متاب الأخبار المأثورة فيما يتعلق بيوم عاشوراء، مطبعة ابن حيون، طنجة، 1341.
ابن القطن: فضائل عاشوراء، ضمن مجموع مخطوط في خزانة ابن يوسف بمراكش، رقم 168.
بخوشة، محمد: أدب المغاربة وحياتهم الاجتماعية والدينية وبعض خرافاتهم، ط. 3، الدار البيضاء، 1943.
البكري، أبو عبيد الله: كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من المسالك والممالك)، نشر دوسلان، الجزائر، 1857.
البيروني، أبو الريحان محمد: الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبع ليبزيك 1923، مكتب المثنى، بغداد.
الجراري، عباس: عاشوراء عند المغاربة، منشورات النادي الجراي، رقم 16، ط. 1، مطبعة ومكتبة الأمنية، 1999.
السوسي، محمد المختار، المعسول، الدار البيضاء، ج. 1، 1960.
عاشور، محمد بن محمد العربي الرشاي، رسالة (في بدع عاشوراء)، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، ضمن مجموع رقم 2028.

وحتى لا يتكرر ذلك لأسباب إيديولوجية، وساكنة المدينة متشبثة بفرجتها السنوية المتميزة، وبالنظر إلى قيمتها التراثية، وراثتها الفرجوي والدلالي، جاء هذا العمل الذي يهدف، فيما يطمح إليه منه الأستاذ جامع بنيدير، إلى التعريف بهذه الظاهرة الاحتفالية، ومن خلال ذلك إلى مطمحين اثنين :

- تقديم وصف شامل ودقيق لها، لسياقاتها ولمختلف مراحلها وأدواتها، وشخصها، وكذا لمختلف الطقوس الفرجوية المحايثة لها واللاحقة، وما إلى ذلك مما يُهيئها مادة جاهزة لمن عسى سيقاربها بمنهج أو مناهج علمية أكثر نجاعة وفعالية.
- لفت انتباه المعنيين بالتراث الشعبي بشكل عام، والأمازيغي بشكل خاص، إلى قيمة هذه التظاهرة الثقافية، وإقناع ذوي القرار، في ضوء ذلك، بأن لا أساس للنعوت التي توجه إليها من ذات الخلفيات الإيديولوجية الأنفة الذكر. بل وإقناع ذوي القرار هؤلاء، ولم لا؟ وكذا فعاليات المجتمع المدني التيزنيتي، بالعمل على تبني هذه التظاهرة رسميا، ورعاية تنظيمها، وإعلانها مهرجانا شعبيا سنويا خاصا بمدينة تيزنيت، على غرار المهرجانات التي تحتضنها بعض أخواتها من المدن المغربية. وإن كلا من المدينة وساكنتها وفرجتها لجديرات فعلا بذلك.

الحسين أيت باحسين

1 - الحدث / الموضوع:

الأعياد التي دأب المغاربة على الاحتفال بها، على أنها أعياد دينية، على مدار السنة هي عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة، يليه زمينا عيد عاشوراء في العاشر من محرم، فعيد المولد النبوي في الثاني عشر من ربيع الأول، ثم عيد الفطر في فاتح شهر شوال. وهي تتفاوت من حيث المكانة التي يحظى بها كل منها اجتماعيا، وهو ما يعكسه وصف عيد الأضحى بالعيد الكبير، وعيد الفطر بالصغير، فيما لا ينال عيد المولد النبوي إلا اهتماما أقل، وأقل منه عيد عاشوراء. وتتفاوت هذه المكانة أيضا من منطقة إلى أخرى، فیتفاوت تبعاً لذلك التقدير الذي يحظى به كل منها من لذن ساكنة هذه المنطقة أو تلك. فإذا كانت الاستعدادات التي ترصد لكل من عيد الأضحى وعيد الفطر هي نفسها في جميع أرجاء المغرب، بالنظر إلى الملابس والسيارات التي يحتفل فيها بكل منهما، فإن الأمر ليس كذلك فيما يخص عيدي المولد النبوي وعاشوراء اللذين لا ينالان، وعاشوراء بشكل خاص، نفس الاحتفال في العديد من الجهات.

تختلف أيضا طقوس وعادات الاحتفال بهذا العيد أو ذاك تبعاً لدلالة الذكرى، وخصوصيات المناسبة التي يحيل عليها، كما يغلب طابع التنوع على طقوس الاحتفال بنفس العيد من منطقة إلى أخرى. فإلى جانب الطقوس التي هي في جميع المناطق، وهي ذات مرجعية دينية في الغالب، كأداء صلاة العيدين وذبح الأضاحي، وإخراج زكاة الفطر، وأمداح ليلة عيد المولد النبوي وغيرها، هناك طقوس وعادات ذات مرجعيات ليست دائماً دينية، منها ما يمارس في معظم المناطق كإشعال النار والرش بالماء وغيرها عند الاحتفال بعاشوراء، ومنها ما يمارس في مناطق دون أخرى كعادة بوجلود، أو بيلماون في عيد الأضحى، فيما تتفرد بعض المدن باحتضان طقوس بعض التظاهرات السنوية، أبرزها موكب الشموع بسلا احتفاء بعيد المولد النبوي، وطقوس التظاهرات الصوفية في مكناس⁽¹⁾ بنفس المناسبة، وفي الصويرة⁽²⁾ ليلة العشرين من شعبان ومهرجان "ⵝⵉⵛⵉⵔ" ، في احتفالات عاشوراء بتيزنيت، وغيرها من التظاهرات التي تقام تخليدا لهذه المناسبة أو تلك، في هذه المدينة أو المنطقة أو تلك.

هذه التظاهرات، بما تزخر به من طقوس ذات مرجعيات مختلفة، تثير فضول من يتمعن فيها عن كتب، فهي حقول خصبة بالقضايا الجديرة بالدراسات الجادة، وبأسئلة وفرضيات لا حصر لها. ويحدونا طموح جاد لمقاربة ما تفرزه منها إحداها وهي تظاهرة "ⵝⵉⵛⵉⵔ" التي تنتظم سنويا بتيزنيت وبعض بواديها، وهو طموح ظل يراودنا، ويتجدد إلحاحه كلما تهياً لنا الحضور لعروضها، أو استعدنا مع رفاق من هذه البلدة مشاهد منها، أو مقاطع من أشعارها.

(1) هي التظاهرة التي تحييها الطائفة العيساوية سنويا بمكناس.

(2) كانت طوائف كُثَاوة تحيي سنويا هذه الليلة، وهي غير مهرجان كُثَاوة المحدث مؤخرا.

ذلك لأنها تظاهرة تبدو غريبة عن المناسبة، وعن ثقافة المنطقة، وتثير الكثير من الاستغراب والدهشة، بالنظر إلى غرابة الطقوس التي تقوم عليها، وتدخل ضمن مكوناتها الأساسية، فإذا كانت طقوس إحياء التظاهرات الأنفة الذكر، وطقوس الاحتفال بعاشوراء ذاتها، تكشف، بهذه الدرجة أو تلك من الوضوح، عن العلاقات التي تربطها بالمناسبات التي تقام فيها، فإن تظاهرة "ZHCeO" تبدو بطقوسها كأن لا علاقة لها من قريب أو بعيد بعاشوراء، أو على الأقل يكتنف الكثير من الغموض علاقاتها بما يحيل عليه عاشر محرم، دينيا وتاريخيا، من أحداث وذكريات. إن غرابة طقوس هذه التظاهرة، أو بالأحرى ما يبدو غريبا ومثيرا إن في محتوياتها، أو في أدوات وأشكال أدائها، مقارنة بغيرها من التظاهرات المحلية على تعدد هذه الأخيرة واختلافها، هو الذي يغذي طموحنا ذاك، إلى مقارنة الفرضيات والإجابات التي تساق جاهزة، ودون ترو على التساؤلات التي تطرحها، من حيث هي كذلك، عن أصولها، وعلاقاتها الممكنة بعاشوراء وباليهود، وبثقافة المنطقة، وكذا عن وظائفها ودلالاتها. وقبل هذه، وتلك، ما وجه الغرابة فيها؟ وهل كان لابد من ردها إلى أصول معينة؟ وهل ينبغي البحث عن هذه الأصول خارج ثقافة المنطقة وخصوصياتها؟ أم أن البحث عن أصول تظاهرة من هذا القبيل ينبغي أن يكون داخل خصوصيات الثقافة التي أنجبتها؟ ثم ماهي مبررات إنجابها على هذا الشكل دون أشكال أخرى ممكنة؟ وماهي مبررات استمرارها؟ تلك هي التساؤلات التي سنسعى في ضوئها، وفي ضوء ما قد يتفرع عنها من تساؤلات فرعية إلى مقارنة هذه التظاهرة.

2 - منهجية المقارنة:

ما السبيل إلى تغطية مطالب هذه التساؤلات بشكل مرض وكاف؟ إنها طموحة، ولسنا متأكدين كل التأكد من امتلاك التحكم في ما تقتضيه مقاربتها، بما هي كذلك، من شروط ذاتية وموضوعية. لذلك ارتأينا أن نقوم بهذه المقارنة على مرحلتين، نركز بشكل أساسي في أولاهما على وصف شامل ودقيق للتظاهرة، وذلك بإيراد كل المعطيات التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بها، بسيطة كانت أو مركبة، واستعراض مختلف الملابس الفاعلة في تشكيل سياقها الطقوسي والفرجوي، بدءا بعاشوراء التي أنجبتها من بين ما أنجبت من تقاليد وعادات وطقوس، وبعض المعتقدات والتصورات التي تؤسس مكانة هذه المناسبة في الثقافة المحلية، وتبرر في نفس الوقت حضور تلك التقاليد والطقوس، ثم بالحديث عن التظاهرة ذاتها كأكبر تجل لتلك الطقوس، في كل تفاصيلها، ومراحلها، وأشكال ومحتويات كل مرحلة، حرصا منا على الإحاطة

في هذه المرحلة من المقاربة بكل ما يمكن الإحاطة به، مما له صلة من قريب أو بعيد بتظاهرة "EHCeO"، وذلك بغية إعداد المادة الكافية لمن عسى سيسعى انطلاقاً منها في مرحلة لاحقة إلى مقارنة ذات التظاهرة على مستوى التفسير والتأويل.

أما مصادر المعطيات التي اعتمدناها في هذه المرحلة فهي متعددة، معظمها مستمد مما تراكم لدينا من رصيد هو حصيلة لانتمائنا لهذه المنطقة بما أتاحه ذلك من الاطلاع المباشر، طفلاً، وفتى، وشاباً، وكهلاً، ثم شيخاً، على عاداتها وتقاليدها وقيمها الثقافية من خلال تمثّلها وممارستها، واستبطان ما يؤسسها من معتقدات وتصورات، بالإضافة إلى الحضور المباشر لمعظم التظاهرات الاحتفالية التي تقام في أرجائها في مختلف المناسبات، والمشاركة الفعلية في بعضها من حين لآخر. وقد يضيف هذا المعطى صعوبات منهجية إلى تلك التي يثيرها اتساع الموضوع، وطبيعة التظاهرة، بما هي ظاهرة انسانية، فيوجه منظورنا إلى الظواهر الثقافية للمنطقة ويضفي الذاتية على تعاملنا معها، وهو ما نحن واعون به، وحرصنا على تفاديه قدر الإمكان، على أنه مع ذلك من شأن هذا المعطى أن يتيح فهماً أفضل لعادات وتقاليدها للمنطقة، ولأبعاد ودلالات الكثير من الطقوس التي تقتدر بها.

ولتنويع هذه المصادر عمدنا إلى إجراء ما لم نهتم بإحصائه من المقابلات مع كل من آنسنا منه الإفادة من مسني ومسنات المدينة وبعض نواحيها، وبشكل خاص ممن لازال متمسكاً منهم ومنهن بتقاليده وطقوس عاشوراء، وكلهم مازالوا كذلك، وممن كانوا يشاركون في عروض "EHCeO"، وكذا من الذين يشاركون فيها راهناً، وذلك بغاية الحصول على معطيات إضافية، أو تصحيح ما توفر منها بالتعديل أو التأكيد وبشكل خاص عندما يتعلق الأمر بما هو شفوي سريع النسيان كالأقوال المأثورة التي تتردد لإبراز سلطة هذا المعتقد أو ذاك، أو للتنبيه إلى ما يمكن أن يترتب عن الإخلال بهذا الطقس أو ذاك. وكالأشعار التي يتغنّى بها المؤدون لعروض هذه الحفلات، وغير ذلك من الشفويات التي تتواتر عند المسنين من أبناء المنطقة فيما يتعلق بطقوس "EHCeO"، وعند المسنات من نساؤها، فيما يتعلق بطقوس عاشوراء.

في ذات السياق سعينا إلى لقاء بعض رجال الدين، مسلمين ويهود، لفحص مجموعة من الأحكام الجاهزة والسريعة عن علاقات طقوس عاشوراء بطقوس بعض الأعياد الدينية اليهودية، وطقوس أخرى ذات صبغة إسلامية أو غير إسلامية، إضافة إلى مراجع ذات الصلة لمؤلفين مغاربة وغير مغاربة، مسلمين ويهود، شيعة وسنيين. واستعنا أيضاً بشهادات بعض المتعاطين لأعمال السحر والشعوذة، وملاحظات بعض بائعي العقاقير والأعشاب ذات الصلة، وذلك بغاية إضاءة العلاقات المنشأة بين عاشوراء وبين ما يقتدر بها في الذاكرة الشعبية من تصورات وممارسات ذات البعد السحري. وفي ارتباط بالطقوس المقترنة بعاشوراء، أجرينا العديد من المقابلات مع أشخاص من

خارج المنطقة، التزمنا فيها بمراعاة مطلب التمثيلية لعدة جهات من المغرب، لإتاحة المقارنة بين طقوس الاحتفال بهذه المناسبة هنا وهناك، ومن خلالها إبراز ما يمكن أن يشكل خصوصياتها هنا. معنى هذا أن مقاربتنا لهذا الموضوع تعتمد في شقها الخاص بعاشوراء على مصادر شفوية بالدرجة الأولى، وعلى أخرى مكتوبة ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بعاشوراء كذكرى أو حدث. أما في شقها الخاص بتظاهرة "xHCo"، فماعد الدورات الثلاث الأخيرة التي واكينا وقائع كل منها، مرحلة مرحلة، وذلك من موقع تحولنا فيه من مجرد مشاهد مولع بالفرجة إلى ملاحظ محمل بالتساؤلات والفرضيات الأنفة الذكر، يراقب في ضوئها سير تلك الوقائع، فإنها لاتعتمد إلا على مصادر شفوية أيضا، إذ لا يمكن لها أن تعتمد إلا على هذا النوع من المصادر، بالنظر إلى الغياب التام في حدود علمنا لمصادر مكتوبة عن هذا الشكل الاحتفالي الأصيل بحيث أن ما يمكن أن يشكل حدودا للقيمة العلمية لهذا العمل، يعود من بين ما يعود إليه، إلى ارتكازه أساسا على المصادر الشفوية.

الفصل الأول : عاشوراء

(5) سورة القدر، الآيات 1-2-3.

دينيا، لم نهتد، في حدود ما اطلعنا عليه، إلى سند يصنف العاشر من محرم ضمن الأعياد الدينية الإسلامية، على غرار العيدين الأضحى والفطر، أو على ذكرى يحيل عليها كما هو الأمر في عيد المولد النبوي. وكل ما عثرنا عليه في هذا الصدد أحاديث نبوية توصي بصوم يوم عاشوراء على وجه الاستحباب، وربما على وجه الجواز فقط، كما يدل على ذلك سياق الأحاديث، ونصها على الخياريين صومه أو الإفطار فيه.

فـ "عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم. فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه." (6)

ويعزو حديث عائشة رضي الله عنها أصل صيام عاشوراء إلى قریش في الجاهلية لا إلى يهود المدينة في قولها: "إن قریشا كانت تصوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شاء فليصمه ومن شاء فليفطره." (7)

عاشوراء إذن "يوم من أيام الله، فمن شاء صامه ومن شاء تركه" كما ينص على ذلك حديث عبد الله بن عمر (8). وجواز صومه أو استحبابه لا يقتصر عليه، فكل الأيام كذلك باستثناء أيام معينة ومعدودة يكره أو يحرم صومها، بالإضافة إلى وجوب صوم أيام رمضان. ومع ذلك فإنه يحظى في ثقافات الكثير من الشعوب الإسلامية باحتفاء لا تحظى بمثله الأعياد ذات السند الديني، وهو ما يعكسه واقع هذا الاحتفاء بتعدد الصيغ التي يتخذها، وتنوع أشكالها بالإضافة إلى صبغتها الفرجوية، كما تعكسه المصنفات الفقهية المغربية بما تزخر به، نظما ونثرا، من أدبيات حول عاشوراء ووجوه تعظيمها، وكراماتها، وحكم الاحتفاء بها، وأشكال هذا الاحتفاء (9) وغير ذلك مما بوأ العاشر من محرم، على المستوى النظري أيضا مكانة متميزة.

(6) مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الألباني ص. 163-164. وأورده البخاري أيضا في صحيحه تحت رقم 3649.

(7) نفس المصدر ص 136

(8) صحيح مسلم، الحديث رقم 1901

(9) نظمها بعضهم فقال:

في يوم عاشوراء عشر تتصل	بها اثنان ولها فضل نقل
صم، صل، زر عالما، عد، واكتحل	رأس اليتيم امسح، تصدق، واغتسل
وسع على العيال، قلم ظفرا	وسورة الإخلاص ألفا تقرأ

وهو ما رد عليه آخر قائلا:

ولم يرد من ذا سوى الصوم كذا

توسعة وغير هذا فانبذا.

انظر محمد الطالب بن الحاج في شرح ميارة لمنظومة ابن عاشر، ج 102 ص 102.

أما تاريخيا، فإن المآسي التي توالى على الشيعة ورموزها، وضمنها مقتل الحسين بن علي يوم عاشوراء من عام 42 هـ ب كربلاء، قد شكلت مأساة بكل المقاييس لدى الطوائف الشيعية، وجمهور عريض من المسلمين المتعاطفين مع آل البيت ممن أفجعتهم هذه المأساة، فارتبط يوم عاشوراء في الشرق الإسلامي بشكل خاص بهذا الحدث، وتحول إلى ذكرى محملة بدلالات الحزن والألم، تحييها الشيعة على اختلاف اتجاهاتهم وآرائهم، ومعهم المتعاطفون معها سنويا، فاكسب على مر السنين صبغة عيد ديني يحيل على هذه المناسبة. ولعل في فداحة الحدث وتداعياته اللاحقة ما يفسر الكثير من مظاهر التقديس التي تم إضافؤها على هذه المناسبة.

في مدينة تيزنيت ومحيطها يُحتَفَى بعاشوراء كعيد ديني، بالتقدير نفسه الذي يُحتَفَى به بباقي الأعياد، من حيث هي "عواشر" أو مناسبات دينية. فكل الأعياد هنا عيد رغم تمايزها الناشئ عن تمايز المكانة الدينية للمناسبات التي تخلدها، ورغم اختلاف تقاليد الاحتفال بكل منها تبعا لتمايزها ذاك. والذي ينتمي ثقافيا لهذا الوسط لا يدرك تفاوت مكانة هذه الأعياد، اجتماعيا، وضعف الاهتمام بعاشوراء بشكل خاص إلا عندما يلمس ذلك عن كتب في أوساط اجتماعية أخرى، والحال أن عاشوراء بالذات حاضرة هنا بقوة، كعيد ذي عادات وتقاليد متميزة، فهي أغنى الأعياد من حيث تنوع الطقوس التي تؤثت أجواء الاحتفال بها، وهي طقوس يمكن تصنيفها بناء على السمة التي تميز مقاصدها وكذا مظاهرها إلى صنفين.

- طقوس تعكس ممارستها مقدار ما تحظى به أيام عاشوراء من تقديس مشوب بالرهبة والرغبة من لذن المحققين بها، وهو ما تفصح عنه أيضا المظاهر التي تتخذها، فارتأينا لذلك أن نسميها طقوسا تقديسية تميزها لها عما عداها.

- طقوس ذات طابع احتفالي صريح، تبتغي المرح والفرجة أساسا، فارتأينا لذلك أيضا أن نسميها طقوسا احتفالية.

ومن الصنفين معا ما يمارس في جميع مناطق المغرب، ومنها ما لا يمارس إلا على المستوى المحلي.

أولا: طقوس تقديسية

يبدأ الإعلان عن هذا الصنف من الطقوس لدى ساكنة المنطقة ابتداء من فاتح محرم، وقد يبدأ الاستعداد لها قبل ذلك، ومنذ الاحتفال بعيد الأضحى، وذلك بالاحتفاظ لها بقطع معينة من لحم الأضحية. وهي طقوس منها طابوهات لا ينبغي الاقتراب منها طيلة الأيام العشرة الأولى من هذا الشهر اتقاء لما قد يترتب عن ذلك من مكروه، ومنها طقوس ذات طابع ترفيهي تقضي بالإقدام على العمل بها اغتناما للفرص التي يعتقد أنها تتاح خلال هذه الأيام لتحقيق أغراض معينة.

I - طقوس الإحجام:

تشمل الأعمال التي ينبغي الإحجام عنها تقديسا لهذه الأيام، مختلف الأنشطة التي تكتسي أهمية ما، سواء بالنسبة للفرد أو للأسرة، والإحجام يكون أكثر ما يكون عن الشروع في بعضها، كإعطاء الانطلاقة لمشاريع معينة، أو لبناء مرافق ذات أهمية معينة في مختلف مجالات حياة السكان. ومن الأعمال التي تواتر إدراجها في هذا الإطار ما يلي:

- 1 - كل ما يتعلق بالزواج من الإجراءات التي تفيد إعطاء الانطلاقة لارتباط شخصين في إطار مؤسسة الزواج، كالخطوبة أو عقد القران أو حفل الزفاف وما إليها.
- 2 - بعض العمليات الخاصة بالنساء في مجال الزينة كصبغ الشعر وسحق أحجار الكحل لإعداد مسحوق هذه المادة، ونظم القلادة (+H&E11&E4+ | oXXoO) وأخرى كحلق الإبطين والعانة وغيرها من العمليات التي تحاط بعناية خاصة لدى نساء المنطقة.
- 3 - بناء بعض المرافق الخاصة بالأسرة، كالبدء في بناء المنزل ذاته، وبناء الموقد (+oK&o+-&E1K&o) والرحى (o%OX) والفرن المنزلي "ءافانرو" (oH&oO) وكذا إنجاز عمليات ترميم المنازل، أو التبييض السنوي لجدرانها، وغير ذلك من العمليات ذات الصلة.
- 4 - بعض الأعمال الفلاحية، كغرس الأشجار المثمرة، وعمليات حرث أو جني بعض الغلل التي جرى التقليد على القيام بها جماعيا، وفي وقت واحد، كحرث وحصد نوع من الذرة (oOIX&o) (10) لدى ساكنة أكلو وماسة، وكذا جمع غلل أخرى كحبوب الزيتون وأركان.
- 5 - وبالنظر إلى المكانة المتميزة لمادتي السمن والعسل لدى ساكنة المنطقة وقيمتهم الاجتماعية أساساً قبل قيمتهما الغذائية، فإن عمليتي إعداد السمن "ءاسفساي وودي" (oO&O&E1 | U&A&E) وجني العسل من العمليات التي يوصى بإرجاء القيام بها إلى ما بعد عاشوراء.

- 6 - بيع أو شراء بعض الحيوانات التي تدجن للانتفاع بعائداتها، كالأبقار والغنم والماعز والإبل، وارتباطا بها عمليات إحضان الدجاج وما إليه على بيضه قصد تفريخه.
- 7 - مباشرة الأعمال المرتبطة بنسج الثياب، وهي عمليات تتجزئ في إطار جماعي بمساعدة الجيران والأقارب، وتتطلب الإعداد المسبق لها، بمعنى أنها ليست مجرد عمليات يومية عادية، ويتعلق الأمر بعملية جز الصوف من على الأغنام (oH&oO | U&H&E1) وعملية غسله وتنقيته (X&E1 | +E&E) وعملية إقامة المنسج (oXX&o | o&E&E) وحتى غسل الجديد من الثياب لأول مرة "ءوكو ءيزوارن" (X&E1 &E1U&oO).

(10) اختفى هذا التقليد باختفاء الاهتمام بزراعة هذه الذرة (oOIX&o) لدى مزارعي هاتين البلديتين.

هذه نماذج من الأعمال التي جرت العادة على تعليق إنجازها بمجرد حلول شهر محرم، أو "أيورن وعشور" وليست كلها، وهي نماذج متواترة يعرفها الجميع ويلتزم بمقتضياتها إلا من أراد أن يجازف بمخالفتها وناذرا ما يحدث ذلك. أما ما عداها من أشكال الممارسة الاجتماعية فإن ما ينبغي أو لا ينبغي الإقدام عليه منها خلال هذه الفترة يتحدد تلقائيا، انطلاقا من تقدير الفرد أو حدسه الذي يكتسبه بحكم انتمائه إلى ثقافة المنطقة، وربما بتوجيه أو تنبيه من غيره انطلاقا من ذات المرجعية. على أنه في إمكاننا أن نلتمس في ضوء تلك النماذج ملامح عامة للمعايير التي يمكن اعتمادها في عد هذا العمل أو ذاك مما ينبغي الإقدام أو الإحجام عن مباشرته، فهو، على وجه التقريب، كل عمل يرجى نجاحه ويخشى من فشله بالنظر إلى أهميته الاجتماعية أو الاقتصادية في حياة الفرد أو الأسرة حاضرا ومستقبلا.

أما مدة تعليق مثل هذه الأعمال فهي تسعة أيام، بمعنى أنها تنتهي بانتهاء تاسع محرم، أي ليلة عاشوراء. غير أن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن لحظة انتهائها لا تتحدد بالعلاقة مع التقويم الزمني المتداول في تحديد الأوقات، أو بالعلاقة مع مواعيد الصلوات كما هو مألوف محليا، وإنما بالانتهاء من طقوس حفل آخر من حفلات عاشوراء هي طقوس إحراق (تامعشورت) (+EHC%O+) (الشعالة) التي سنتحدث عنها لاحقا. هذا ويعكس الحديث المتداول بين الناس في هذا الصدد مدى التقديس الذي تحظى به هذه الطقوس من خلال الوصايا التي يقدمها الكبار للصغار، أو العارفون لمن لا يعرف، سواء كانت في صيغة الأمر أو النهي، مثل: "إياك أن تقدم على هذا العمل أو ذاك قبل إحراق (تيمعشار) (+EHC%O) (الشعالات)، أو أرجئ الشروع في هذا العمل إلى ما بعد احتراق (+EHC%O) ". إذ بهذا الاحتراق يصبح الناس في حل من هذه التحريمات.

إن تلقائية الاستجابة لمقتضيات هذه الطقوس من لدن شرائح هامة من ساكنة المنطقة، وكذا استمرار هذه التلقائية يطرحان عدة تساؤلات عن المصادر الممكنة للمعتقدات التي يصدر عن عنها. وبالنظر إلى بعدها التحريمي فإن ما يسارع التفكير إليه هو افتراض علاقات لها بمقتضيات طقوس أخرى، ذات نفس البعد، في الثقافة العربية الإسلامية هي طقوس الأشهر الحرم. فهل تستوعب مقتضيات هذه الأشهر مختلف الإحجامات التي تحضر خلال أيام عاشوراء؟ أم أن لخصوصيات الثقافة المحلية بتتوع روافدها، دورا معينا في بلورة التصورات التي يصدر عن عنها؟

نرجئ مقارنة هذه التساؤلات وما إليها إلى المرحلة اللاحقة، أو نتركها لمن قد يعنيه أمرها، ونكتفي الآن بالتأكيد على أن هذه المعتقدات مهما كان مصدرها مازالت متجذرة في هذا الوسط. وأن الاقتناع مازال قويا بأن الكثير من التعثرات أو الإخفاقات تعزى إلى عدم الاستجابة

لمقتضيات هذا الصنف من طقوس عاشوراء. وذلك بالرغم من نزوع الأجيال الصاعدة إلى الاستخفاف بتلك المعتقدات، وما يتأسس عليها من ممارسات.

II - طقوس الإقدام:

مقابل هذه الطقوس ذات الطابع الزجري هناك طقوس أخرى تدعو إلى الإقدام على اغتنام حلول أيام عاشوراء للقيام بأعمال معينة، إذا أريد لهذه الأعمال أن تؤتي أكلها، أي بناء، هنا أيضا، على مبدأ توخي النجاح واتقاء الفشل. من هذه الطقوس ماهو عام وشائع تمارسه شرائح اجتماعية معينة في سائر مناطق المغرب، ومنها ما هو محلي يمارس أكثر ما يمارس في أرجاء عدة من المناطق الجنوبية.

1 - طقوس عامة:

يتعلق الأمر، فيما يخص ماهو عام منها، بطقوس ذات بعد سحري واضح، إذ يعتقد الذين يتعاملون للسحر والشعوذة أن مختلف الشروط التي يتطلبها نجاح الأعمال السحرية، تكون مهياة أكثر خلال أجواء عاشوراء، فيعدون عدتهم للرواج الذي تعرفه هذه الأعمال بحلول هذه المناسبة، ويترقبونها، وتحديدا يترقبون ليلة عاشوراء، أو عشية التاسع من محرم، إذ في لحظات من هذه الليلة، ويتزامن مع احتراق (تيمعشار) $(+ \text{C}_4\text{H}_{10}\text{O})$ ، تنهياً أفضل الظروف لاسترضاء مختلف قوى الخير والشر، ولتسخير الجن والشياطين التي تصل قابليتها للاستجابة إلى أعلى درجة في هذه اللحظات، حسب ما أجمع عليه من تمكنا من الحديث معه ممن يشغلون في هذا القطاع. وتروج بين هؤلاء أقوال، أو يروجون أقوالا على أنها مأثورة، تعكس حضور مثل هذه الطقوس، وتواترها، وتغذي العديد من الممارسات ذات الصلة، وهي أيضا من ضمن ما أجمع عليه هؤلاء، نورد منها النماذج التالية:

- احذر أن تجيب من ناداك باسمك ليلة عاشوراء بالنطق بكلمة نعم حتى لا تتعرض من خلالها لعمل سحري، وأجب فقط بما يفيد أنك سمعته.
- أقوى الأعمال السحرية تأثيرا وأشدّها مقاومة للفسخ هي التي تتجز ليلة عاشوراء.
- في ليلة عاشوراء يتأتى الإيقاع بمن تعذر الإيقاع به خارجها في حبال السحر.
- أفضل المواقيت لإعداد الجداول السحرية، أو لإبطال تأثيرها هو ليلة عاشوراء.

ويبدو أن الذين يحترفون السحر والشعوذة يجتهدون في انتقاء ونشر مثل هذه الأقوال، بما فيها من مفارقات، لإحاطة عاشوراء بهالة من الكرامات والأسرار الغامضة، بغاية تغذية الحرس على ترقبها من طرف من لازالوا يفضلون الالتجاء إلى هذا الصنف من الممارسات.

ومن الطقوس ذات البعد السحري تلك التي ترتبط بإحدى الظواهر العامة أيضا، والشائعة

على نطاق واسع، وهي ظاهرة الإقبال خلال أيام عاشوراء على التعاطي لأصناف البخور التي تعرض بوفرة في الأسواق التي تقام بهذه المناسبة في المدن والقرى بالعديد من مناطق المغرب، حيث تتصاعد أدخنة هذه الأصناف، وتختلط روائحها، ويقبل الناس على التزود منها بما يلزم لتطبيب أجواء البيوت والمساجد، ومختلف المجالس الخاصة والعامة عشية التاسع من محرم، وطيلة ليلة عاشوراء. وهو نفس الإقبال الذي تعرفه البخور احتفاء بليلة دينية أخرى هي ليلة القدر، لكن مع اختلافات عميقة في الأغراض والنوايا، ومن ثم في طبيعة هذه الأصناف وفي طقوس التعامل معها.

إن الوجه غير المعلن عنه لظاهرة الإقبال على البخور هو أن هذه الأخيرة أدوات لطقوس ذات مقاصد سحرية صرفة، ينتظر المعنيون بها ليلة عاشوراء للاستفادة مما يعتقد لها من خواص سحرية. فأصناف البخور التي تتداول أثناءها ليست كلها طيبة الرائحة، بل لا صلة لها بالبخور أساسا، وهذا ما تختلف فيه عما يتداول أثناء ليلة القدر. فمنها من العقاقير والمواد ما لا يخطر على البال من أعضاء الحشرات وشعر وأطلاق وروث مختلف الدواب، فهي وصفات محددة لمختلف الأعمال السحرية المزمع القيام بها، تيمنا بهذه الليلة، لتحقيق أغراض معينة، أو لإبطال مفعول عمل سحري سابق، أو لطرد الأرواح الشريرة أو لاسترضائها بغرض تسخيرها، أو لغير ذلك من المآرب التي قد تقتضي في اعتقاد هؤلاء، روائح منفرة وكريهة. إن المقصود الأساسي من هذه الأصناف من العقاقير ليس هو طيب روائحها، ولكنه فعالية ما يعتقد لها من خصائص وقدرات سحرية.

2 - طقوس محلية :

وفيما يخص ما يمارس على المستوى المحلي من هذه الطقوس، أي من طقوس الإقدام على ممارسات معينة، تيمنا بعاشوراء، نورد منها تلك التي ترتبط بظاهرة أخرى لا تحضر إلا في هذه المناسبة. وهي أيضا ذات بعد سحري خرافي تقوم على نفس الاعتقاد بأن أعمال السحر والشعوذة التي تنجز ليلة عاشوراء تكون فعالة وناجعة. لذا ينبغي ألا تفوت فرصة حلولها من يعنيه الأمر. ومن يعنيه الأمر بطقوس هذه الظاهرة هن النساء المصابات بالعقم، ممن أعيتهن الوسائل الطبية التقليدية والحديثة، أو يئسن منها. أو ربما لم يقتنعن أساسا بنجاعة هذه الوسائل، ففضلن الالتجاء إلى هذه الممارسات تحت تأثير الرغبة التي تتملكهن في الإنجاب إرضاء لضغوطات نفسية واجتماعية.

وتقتضي هذه الممارسات قيام المعنية بالأمر بسلسلة من الطقوس تتمثل في جمع قطع من القديد من لحم أضاحي عيد الأضحى، من لدن سبع أسر من الجيران والأقارب والمعارف، خلال أسبوع ما قبل ليلة عاشوراء، على أن تكون أبواب منازل هذه الأسر مفتوحة لجهة القبلة، وأن تهيب

منها، ومن مواد وعقاقير أخرى طبقا من الكسكس بمواصفات معينة، تأكل منه هي وزوجها في وليمة يحضرها الجيران والمعارف والأقارب ليلة عاشوراء، وتضيف العارفات من النساء تفاصيل أخرى مختلفة عن مواصفات المدعويين، وطقوس الإطعام بشكل عام، وإطعام المعنية بالأمروزوجها بشكل خاص، وغير ذلك من التفاصيل التي قد يختلفن فيما إذا كان استيفاؤها ضروريا، لكنهن يتفقن جميعا على أن التوصل إلى الله من خلال استيفائها هو السبيل إلى نيل المراد.

هل حدث أن تحولت إحداهن من عاقر إلى ولود بفضل وليمة القديد ليلة عاشوراء؟ إجابات الكثير ممن سألناهن من النساء هي بالإيجاب، وقد يشرن إلى حالات يعتبرنها من كرامات هذه الولىمة. غير أن منهن من يؤكد خلاف ذلك، ويذكرن أسماء لنساء قمن بطقوس هذه الولىمة ولم ينجبن، ويرددن مع ذلك المبدأ الذي يحضر في مثل هذه المواقف: "على المرء أن يسعى بنية صادقة والكمال على الله". ويذكر أن هذه الولىمة مختلفة تماما عن وليمة شبيهة بها، تقام في نفس الليلة، في العديد من المناطق المغربية، هي وليمة الكسكس "بالذيلة" أو "بالكرداس" في مناطق أخرى، والكرداس والذيلة من قديد أضحية عيد الأضحى أيضا، ومع ذلك فهي أطباق متميزة من حيث المقاصد، وكذا من حيث المكونات ومن حيث الطقوس.

من الصعب أن نعرف بهذا القدر أو ذاك من الدقة مدى تردد ممارسة هذا الصنف من الطقوس راهنا، إن على المستوى المحلي أو الوطني، وذلك بالنظر إلى حرص من يتعاطاها على إحاطتها بالكثير من السرية، وهي من ضمن قواعد اللعبة⁽¹¹⁾، وما يوصى به كشرط، ضمن شروط أخرى ليتحقق المراد منها. غير أنه مع ذلك يمكن تصور حجم الإقبال عليها بالنظر إلى النزوع إلى التعاطي لأعمال السحر المتجذر في الثقافة المغربية، إذ في وسط يسود فيه التمسك بمثل هذه المعتقدات، حتى من طرف شخصيات وازنة اجتماعيا، من شأن ما ينسب لعاشوراء من قدرات وخواص سحرية أن يزيد عند حلولها، من وثيرة الإقبال على ممارسة هذا الصنف من الطقوس بغية الاستفادة من تلك الخواص، وهو ما أجمع على تأكيده العشابون الذين استفسرناهم عن وثيرة الإقبال على المواد والعقاقير ذات الصلة خلال هذه الفترة.

ثانيا: طقوس احتفالية

هي التي تقترن بمختلف التظاهرات الاحتفالية التي تقام احتفاء بعاشوراء، بما فيها التظاهرات العامة التي تعرفها مختلف مناطق المغرب، وكذا التي تنفرد منطقة تيزنيت بإحيائها،

(11) يقول أوبيرموس "لكي يكون للسحر أثر، يجب ممارسته في سرية" نقلا عن مصطفى واعراب. المعتقدات السحرية في المغرب، منشورات الأحداث المغربية، 2003، ص 19،

وتتميز هذه التظاهرات ببعدها الترفيهي، فهي فضاء للتسلية والفرجة قبل كل شيء، تتحرر فيها طقوس الاحتفال من النماذج المملة التي تفرضها أجواء الجدية الملزمة للاحتفال بباقي الأعياد، وتنفلت فيها من نمطية شعائرها الدينية، ومن تكاليفها وإكراهاتها. وهو ما يميز احتفالات عاشوراء، ويسمها بطابع العيد بمفهومه الذي يقتضي الاقتران بمظاهر اللهو والمرح. ومع أن البعد الترفيهي لهذا الصنف من الطقوس عام، وحاضر في مختلف الأوساط الاجتماعية المغربية، فإن حضوره أقوى وأكثر تميزا في هذه المنطقة، وذلك بالنظر إلى ما تنفرد به من أشكال احتفالية تذهب بها طقوسها بعيدا في هذا الاتجاه. وإذ نعرض فيما يلي للأشكال الاحتفالية العامة أولا، ثم لأشكالها المحلية ثانيا، فذلك من أجل إبراز ما تتميز به هذه الأخيرة من خصوصيات ذات طابع محلي صرف، وهي خصوصيات نجدها أيضا في الطقوس التي تقام محليا في إطار التظاهرات الاحتفالية العامة ذاتها.

I - طقوس احتفالية عامة :

هي التي ترتبط بالأشكال الاحتفالية التي تقام في مختلف مناطق المغرب، مدنها وقراها على السواء، احتفاء بحلول عاشوراء مع اختلافات متفاوتة في عادات وتقاليد هذا الاحتفاء من منطقة إلى أخرى. ونعرض فيما يلي لهذه الأشكال وما يرتبط بها من طقوس، مع الحرص أثناء ذلك على إبراز ما أشرنا إليه مما تتميز أو تنفرد به المنطقة التي تعيننا عن غيرها في هذا الصدد.

1 - الشعالة (+oC+oC+oC+)

تشكل الشعالة أو (+oC+oC+oC+) أكثر مظاهر الاحتفال بعاشوراء شيوعا في مختلف الأوساط الاجتماعية المغربية، وأكثرها تجذرا في ثقافتها الشعبية. إذ يحرص الأطفال بشكل خاص، في كل حي في الحواضر، وفي كل مدشر في البوادي، على إحياؤها، في تنافس مثير ويريء. فتبتدئ طقوسها المختلفة بجمع موادها طيلة اليوم التاسع من محرم، وتصل بعد غروب شمسها إلى أعلى درجات الفرجة، عند إضرام النار فيما أمكن جمعه من شوك وعشب يابس، وحطب وإطارات مطاطية، وورق مقوى وغير ذلك مما توفر حسب الأحياء أو المناطق، وذلك في أجواء احتفالية مفعمة بالحركة واللهو والمرح، يقوم خلالها الأطفال باستعراض مهاراتهم في القفز على النار المشتعلة على إيقاع صيحات الاستحسان أو الاستهزاء ممن يكتفون بالتفرج عن كتب، من الأطفال والشبان. وتستمر الطقوس العلنية لهذه التظاهرة لفترة تطول أو تقصر حسب حجم ونوعية المواد المحترقة. وموازة لها تُجرى طقوس أخرى في الخفاء، على قدم وساق، هي الطقوس ذات المقاصد السحرية التي تحدثنا عنها آنفا. وتنتهي طقوس (+oC+oC+oC+) أو الشعالة باحترق

مناوشات تطول أو تقصر مع الشبان الذين يحرسون، مقابل ذلك، على نيل شرف إضرام النار في شعالة هذه السنة. وبتصدي أولئك لمحاولات هؤلاء تتضاعف ألوان الفرجة، وتتوالى بتوالي المحاولات والمحاولات المضادة، على مرأى من الحضور، وتشوق الجميع للحظة إضرام النار. فيتعالى الصخب وعبارات الاستحسان أو الاستهزاء من هذا الجانب أو ذاك، بنجاح أو فشل هذه المحاولة أو تلك. هذا فيما توالي النساء والفتيات أداء أدوارهن في الحفل، بالغناء والضرب على الدفوف والتعاريج، وإرسال زغاريد من حين لآخر في انتظار لحظة الإضرام.

• وبعد مخاض يقصر أو يطول، يتمكن أحدهم، أو أكثر، في غفلة من الأطفال، أو برضى منهم بعد تحقيق التأخير الكافي، من إضرام النار التي تشب أخيراً في الهشيم، معلنة بذلك ابتداء طقوس احتراق (+oEHC%O+) فترتفع ألسنة النار إلى السماء، وترتفع معها صيحات الأطفال وزغاريد الفتيات، ويرتفع إيقاع العزف على الدفوف والتعاريج، في لحظات هي قمة الفرجة، وأقوى لحظات المتعة في ليلة عاشوراء.



تاعشورت

• يتراجع الأطفال والشبان من حر النار خطوات إلى الوراء، ويتحلقون حولها، فيما يكتفي الرجال والنساء ومعهن الفتيات بمشاهدة ما يجري، والمشاركة فيه كل من الموقع الذي اتخذته في فضاء الحفل. وأثناء لحظات احتراق (+oEHC%O+)، تأخذ مشاعر واهتمامات الشرائع الاجتماعية الحاضرة تتكشف وتطفو، صريحة أو مقنعة وذلك من خلال:

- قراءة شرائع منها لما تكشف عنه عملية الاحتراق من دلالات؛
- واغتنام شرائع أخرى هذه اللحظات لإرسال وتلقي رسائل الحب والإعجاب؛
- وانصراف شرائع أخرى لمآرب أخرى.

1 - فالأدخنة المتصاعدة من نيران (+oEHC%O+) يشير اتجاهها إلى الجهة التي ستعرف حقولها الأمطار والخصب خلال السنة الموالية. هذا ما يقرأه المزارعون ومربو الماشية، وكل من له اهتمام بهذا القطاع في اتجاه دخان (+oEHC%O+)، بصرف النظر عما إذا كان مرتبطاً باتجاه

الرياح أم لا، وقد يقرأون الموسم الفلاحي القادم بكل أحواله الجوية ومردود مختلف غلله، في سير عملية الاحتراق ومراحلها.

2 - أما الشبان فيعمدون إلى استعراض بطولاتهم في القفز على نيران (+oEHC8O+) بعد أن تخف حدتها، فيبعثون من خلال إنجازاتهم رسائل قد تكون وجهتها معروفة سلفا، فتلتقطها المعنويات من الفتيات، ويجبن بزغاريد يحملنها مشاعر الإعجاب بالإنجاز البطولي لصفي كل منهن. وقد تكون موجهة إلى الجميع ممن يسعى إلى لفت الأنظار إليه، ويبحث عن الاعتراف بأنه جدير بنيل الإعجاب والتقدير. ويتلقى الشبان رسائل ذات نفس الدلالة من خلال أهانيز الفتيات وزغاريدهن المواكبة لهذه الطقوس، وترتفع وتيرة هذا الصنف من التواصل بارتفاع عدد المشاركين في عملية القفز على النيران، وارتفاع صيحات الإعجاب هنا وزغاريد النساء هناك. وتحول متعة الانتشاء بهذه الأجواء دون إدراك بعض مخاطر اللعبة، فيتعرض المتهورون لبعض الحوادث في الكثير من الأحيان. هذا، وغالبا ما تسفر طقوس هذه اللحظات عن ظفر فتیان بقلوب فتیات، أو اختيار فتیان لفتیات كقمة للتواصل بهذه الطقوس، وربما كبدية للاقتراح.

3 - أما ذوو المآرب الأخرى فالأمر يتعلق بالذين يترقبون حلول ليلة عاشوراء لإنجاز أعمال سحرية مختلفة، فينصرفون خلال لحظات ما قبل وأثناء احتراق (+oEHC8O+) ، وهي لحظات حاسمة في نظرهم إلى ممارسة طقوس سحرية متنوعة الأغراض. وذلك موازاة للطقوس الاحتفالية لهذه اللحظات، وبالسرية التامة داخل فضاءات الحفل ذاته، أو بعيدا عنها في الكثير من الأحيان، في الأماكن والفضاءات التي تملئها تلك الطقوس. وتحاط هذه اللحظات محليا، وربما وطنيا أيضا بهالة من التهويل، في ما يعتقد أنها تختزنه من إمكانيات وقدرات سحرية، وفي ما يمكن أن يتحقق فيها من خوارق مذهلة. هذا وتنتهي مختلف طقوس (+oEHC8O+) بإتيان النيران على الهشيم عن آخره، لتبدأ طقوس شكل احتفالي آخر هي طقوس طرد الفأر التي سنعرض لها لاحقا.

وينبغي أن نشير إلى أن طقوس "تامعشورت" آخذة في التراجع تحت تأثير التحولات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية للمنطقة، فقد اختفت العمليات التي تسبقها، كعمليات إعداد الشبكة، وعملية نقل الحطب إلى المدشر، إذ يكتفي الأطفال بما يجمعونه منه من هنا وهناك في المدشر ذاته. كما أخذ الاهتمام بتامعشورت ذاتها يتراجع ومعه الطقوس المرافقة واللاحقة لها، وقد أجاب البعض ممن سألناهم من الأطفال، ساعات قبل موعد احتراق (+oEHC8O+) عن سبب انصرافهم عن إحضار حطب الشعالة، بأن معلمهم هو الذي نهاهم عن ذلك، لأن (+oEHC8O+) شعيرة دينية مجوسية يحرمها الإسلام، بيد أن (+oEHC8O+) مع ذلك مازالت حاضرة، لكن ليس

بكل الطقوس التي كانت تسبقها، وترافقها، وتليها . وما لم يتراجع قيد أنملة من طقوسها هو ما يقتزن منها بأعمال السحر والشعوذة.

2 - زمزم %C% %

هي استعارة جماعية للإسم الذي يطلق على الماء المقدس المعروف، لإطلاقه على الماء العادي الذي جرت العادة على التراش به صبيحة يوم عاشوراء، احتفاء بهذه المناسبة. والماء كالنار، عنصر تواتر حضوره في الطقوس الاحتفالية لعاشوراء في سائر مناطق المغرب، مع اختلافات في الوظائف التي أنيطت به. والمظهر الاحتفالي المشترك للماء يتمثل في تبادل الرش به فيما بين الأطفال والفتيان والفتيات. وتمارس هذه الطقوس أكثر ما تمارس في دروب وأزقة الأحياء الشعبية للمدن وفي كبريات القرى، ويستهدف الرش جميع المارة، وحتى من بداخل السيارات أو الحافلات، ويستهدف بشكل خاص من تثير أناقته الانتباه من الفتيات أو النساء. وغالبا ما يتعدى مجرد الرش إلى بلل كلي أو جزئي، بدون أدنى تحفظ أو تحسب لأي مؤاخذة من طرف الضحية. بل إن أدنى احتجاج قد يؤلب الأطفال على من احتج، ويجر عليه وابلا من المياه. قد لا تتوقف الفرجة عند هذا الحد، إذ أن الشطط في ممارسة هذا الصنف من الطقوس وارد في أية لحظة، فسرعان ما ينحرف بها البعض عن وظيفتها الاحتفالية، ويخل بقواعد اللعبة، من خلال إقحام ممارسات تستهدف غايات أخرى بعيدة عن احتفالية هذه الطقوس، أو ابتداع ممارسات أخرى شاذة، كإحلال التراشق بالبيض محل التراشق بالماء وأخرى غيرها.

أما محليا، فإن طقوس زمزم هذه لم تكن معروفة قبل العقود الأربعة أو الخمسة الأخيرة، فقد وردت على المنطقة، على الأرجح، مع الواردين عليها من المناطق التي تمارس فيها، وصادفت، بالنظر إلى فرجويتها قبولا من لذن الأجيال الجديدة، وصارت تمارس في مدينة تيزنيت دون أن تنتشر لحد الآن في قرى ومداشر باديتها. ومع ذلك فإن حضور الماء متجذر هنا أيضا ضمن أشكال الاحتفال بعاشوراء، لكن ليس بهذا النمط من الطقوس، وإنما بطقوس أخرى مغايرة، تقوم على الاعتقاد بأن الماء يكتسب في الساعات الأولى من يوم عاشوراء بركة ويمنا، ويصبح ذا قدسية خاصة، لذلك يسارع من يريد التيمن بهذه القدسية إلى جلبه، فجر هذا اليوم، من مصادره المعتادة، منبععا كان أو بئرا أو نطفية.

أما أوجه التبرك بماء عاشوراء، فهي متعددة، إذ يستشفى به من جميع الأمراض، وذلك برشه على المريض أو على الأعضاء المريضة، أو غسلها به، كما ترش به مخازن الحبوب درءا للقوارض، ويتبرك أيضا برش الحيوانات الداجنة به، بالإضافة إلى الاغتسال به أو شربه، أو إعداد المأكولات به. ويوصى باستعماله أيضا في الأغراض السحرية لمن يعتقد في الخاصيات السحرية لعاشوراء. هل يمكن أن تكون طقوس التبرك بالماء هذه مصدرا لطقوس التراش به المسمى زمزما؟ إن التبرك

بالماء المجلوب فجر يوم عاشوراء، أقدم محليا من طقوس التراش به. هذا وما زال هذا النمط من الطقوس حاضرا، لكنه آخذ في التراجع ليخلي المجال على ما يبدو لزمزم وطقوسه.

3 - لعب الأطفال:

من أبرز أشكال الاحتفال بعاشوراء، وأكثرها شيوعا محليا ووطنيا ظاهرة الإقبال على اقتناء اللعب الخاصة بالأطفال، وهو شكل يجسد إلى جانب (+oC+H%O+) وزمزم طابع اللهو والترفيه الذي تتميز به أجواء الاحتفال بعاشوراء. إذ يتربط الأطفال حلول هذه المناسبة لإشباع ولهمم باللعب، وإملاء طلباتهم على الآباء حول ما يبتغون الحصول عليه منها، ويتربحها الباعة أيضا لجلب وعرض آخر ما استحدث منها، فتعج بأصناف متنوعة منها أسواق الحواضر والبوادي التي تعرف بهذه المناسبة أكثر الفترات رواجاً في مجال لعب الأطفال. وباقترب ليلة عاشوراء ترتفع وتيرة الإقبال عليها، إذ بعد هذه الليلة تصبح هذه اللعب غير ذات قيمة، بمعنى أن الطرفين، عاشوراء ولعب الأطفال متلازمان وظيفيا. فتستمد هذه اللعب برقيتها وقيمتها في منظور الأطفال من اقترانها بعاشوراء. فيما لا يمكن من نفس المنظور تصور الاحتفال بعاشوراء إلا من خلال تلك اللعب. لذلك يستعاض عن إضافة اللعب إلى الأطفال بإضافتها إلى عاشوراء، فيقال لعب عاشوراء، أو "قشاوش عاشوراء" بدل لعب الأطفال.

والواقع أن عبارة لعب عاشوراء هي الأبلغ دلالة، على اعتبار أنها تشمل لعب الأطفال وغيرها من اللعب التي لا تحضر بقوة إلا في هذه المناسبة، ويقبل عليها غير الأطفال من فئات أكبر سنا، وذلك مثل اللعب النارية التي تتجاوب أكثر مع أجواء اللهو والمرح لاحتفالات عاشوراء، بما تضيفه لها من ألوان التسلية والفرجة التي تبتدئ أياما قبل ليلة عاشوراء، وترتفع وتيرتها تدريجيا لتصل إلى أوجها عشية التاسع من محرم قبل الشعالة، وأنشاءها، وبعدها. إذ تستمر أصوات المفرقات دون انقطاع، ويسمع دويها في كل الجهات، ولا تكاد تهدأ إلا في ساعات متأخرة من هذه الليلة. وكلعب الأطفال تفقد اللعب النارية قيمتها بعد هذه الليلة، ويصبح أي انفجار غير ذي معنى وغير مستساغ. وكطقوس زمزم قد تتحرف استعمالات اللعب النارية من طرف بعض المندفعين عن وظيفتها الاحتفالية، فتتحول إلى أدوات لإثارة مقصودة أو غير مقصودة لأفعال وردود أفعال يصعب التحكم في نتائجها.

من الصعب الحديث دون سند على وثائق أو شهادات عما إذا كانت عاشوراء مقترنة دوما بلعب الأطفال، أو عن مكان وزمان بداية هذا الاقتران. وكذا عن نوعية اللعب التي كان الأطفال يتداولونها قبل الوفرة التي أضحت تعرفها راهنا بفضل التقدم التكنولوجي. فعن زمان ومكان بدايتها، وردت إشارة في حديث شريف ورد في "صحيح البخاري" عن "الربيع بنت معوذ" قالت: "أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوم صبياننا

الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه إلى الإفطار"⁽¹²⁾ هل دمی العهن هذه هي التي تطورت وانتشرت شرقا وغربا، وكانت بداية لظاهرة اقتران عاشوراء بلعب الأطفال على تعددها وتنوعها؟ أم أنها حالة فردة لا امتداد لها، ولم تتجاوز لا عصر بنت معوذ ولا قرى الأنصار؟

أما عن نوعيتها فقياسا على ما كان معمولاً به حيال مختلف الأدوات والمرافق يمكن افتراض أنها كانت تصنع من طرف الصناع التقليديين، أو من طرف الأطفال أنفسهم، كما كان شائعاً على المستوى المحلي، فمنذ عقود كان الأطفال يجتهدون في صنع ما تصل إليه أخيلتهم الطفولية من لعب بأيديهم مما يتوفر من مواد محلية، كما تجتهد الفتيات في صنع الدمى والعرائس من ذات المواد. ومن المؤكد أن أشكالها كانت بدائية، ولا مجال لمقارنتها بما هي عليه را هنا، إلا أنها كانت تؤدي الوظائف التي كانوا يتوخونها من صنعها.

4 - الرقص والغناء:

لا يتعلق الأمر بأي رقص، وأي غناء، لكن بالرقص والغناء اللذين تمارسهما الفتيات والنساء بشكل خاص ليلة عاشوراء، أي بالشكل الاحتفالي الذي تحتفي من خلاله النساء والفتيات بعاشوراء، في سائر أرجاء المغرب، وذلك على إيقاع أدوات خاصة بهذه المناسبة، هي التعاريج والدفوف دون غيرها من أدوات العزف الأخرى. وهي أدوات تقتزن بعاشوراء وتقتزن بها عاشوراء، مثلها في ذلك مثل لعب عاشوراء الأنفة الذكر. فتشكل بمعية هذه اللعب والفواكه الجافة وأنواع البخور أكثر البضائع اقترانا بعاشوراء، وأقواها رواجا طيلة أيام "العواشر" في الأسواق. وكلعب الأطفال أيضا، تحرص الفتيات والنساء على اقتناء هذا الحجم أو ذاك من الدفوف أو التعاريج خلال هذه الأيام، فتتردد دقات الضرب عليها في فضاءات الأسواق والأحياء والبيوت، وتؤثت أجواءها بنغماتها المتنوعة. وعشية التاسع من محرم تأخذ هذه النغمات في الانتظام وتزداد وتيرتها بالموازاة مع طقوس إحراق الشعالة، بعدها تبدأ طقوس هذا الشكل الاحتفالي بانتظام النساء والفتيات في مجموعات خلال الدروب أو داخل البيوت للغناء والرقص على إيقاع هذه الأدوات، مع ما يرافق ذلك من زغاريد الابتهاج والمرح، وأهازيج ذات الصلة بالمناسبة وقد تستمر هذه الطقوس إلى ساعات متأخرة من هذه الليلة.

هذا، ولا تختلف طقوس الاحتفال بعاشوراء من خلال هذه الأدوات محليا عنها في باقي المناطق، فالأدوات ذاتها حاضرة بنفس الوتيرة، ونفس الاقتران بالحدث، إلا ما كان من الطابع المحلي للأهازيج والغناء والرقص.

(12) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج II ص 30.

5 - الفواكه الجافة :

شكل احتفالي آخر بعاشوراء، شائع أيضا في العديد من الأوساط المغربية، يتجسد في الإقبال على التزود من أصناف معينة من البضائع التي تزرع بها الأسواق بهذه المناسبة، مما يمكن نعتها بأنها بضائع عاشوراء، معظمها من الفواكه الجافة كاللوز والجوز والزبيب والتمر والحمص والتين المجفف وغيرها، وهي بضائع تكتسب بالإضافة إلى قيمتها المادية، بقوة الإقبال عليها، قيمة معنوية مستمدة من اقترانها بعاشوراء. إذ تتحول بهذا الاقتران إلى مواد تحظى بتقدير خاص، يتبرك الناس بتناولها أثناء هذه المناسبة وتحرص الأسر على تأثيث موائدنا بأطباق منها، وعلى تقديمها للزوار والضيوف، وكذا على تبادل التبريك بها حتى بعد مرور أيام عاشوراء.

لا تنصرف طقوس هذا الشكل الاحتفالي إلى تحقيق الفرحة، أو طلب التسلية والمرح، كما تنصرف إلى ذلك طقوس الأشكال الاحتفالية الأنفة الذكر. وقد يبالغ البعض في تقدير البركة التي تمنحها أجواء عاشوراء لتلك المواد، ويضيف لها قدرات أخرى فيصرفها عن طقوسها الخاصة إلى طقوس ذات غايات سحرية، توصف في إطارها هذه الفاكهة أو تلك في هذا العمل السحري أو ذاك.

هذا، ولا تحتفظ هذه الفواكه بنفس المكانة أو القيمة المعنوية إذا ما اشترت خارج أيام عاشوراء، إذ تصبح حينئذ كغيرها من المواد التي لا تتحدد قيمتها إلا بما يدخل في تكوينها من عناصر غذائية. ومن هذا المنظور نفسه ينظر إليها محليا، حيث لا تمارس الطقوس المرتبطة بالفواكه الجافة إلا من طرف الواردين من المناطق التي تمارس فيها، وذلك في الحواضر بشكل خاص دون البوادي، مثلها في ذلك مثل طقوس الترشا بالماء الأنفة الذكر. بيد أن كلا النمطين من الطقوس آخذ باطراد في استكشاف هذه المناطق.

6 - إحراق البخور

يحضر إحراق البخور بما هو طقس احتفالي في مناسبتين دينيتين هما: ليلة القدر وليلة عاشوراء، وذلك في جميع الأوساط المغربية بدون استثناء، وخارج عمليات أخرى جزئية لإحراق البخور التي هي من عادة المغاربة في المناسبات العائلية وما إليها. وقد ميزنا عند الحديث عن الطقوس ذات الأغراض السحرية بين وظيفتين اثنتين لحضور مختلف أصناف البخور في احتفالات عاشوراء، وركزنا على الوظيفة السحرية التي تلبس التعامل مع هذه الأصناف فتتحرف بطقوس إحراقها عن وظيفتها الاحتفالية التي تتمثل في نشر روائحها الطيبة ليلة عاشوراء في مختلف الأماكن الخاصة والعامة، إما لمجرد تطييبها وتلطيف أجوائها، وهذا هو الغالب، وإما لأغراض أخرى يؤمل تحقيقها، وذلك لدى بعض الساكنة، بناء على التصور الذي

لديها عن الكون والموجودات، وبشكل خاص عن اللامرئية منها كالملائكة الموجودة في كل مكان، والجن والشياطين التي تتساكن مع الإنس في البيوت والحارات والأحياء وفي كل مكان. لذا فإن طقوس إحراق البخور ليلة عاشوراء تتوخى غايتين: من جهة تطيب أجواء البيوت أملاً في أن تحظى بزيارة الملائكة لها عندما تنزل إلى الأرض في هذه الليلة، وفي هذا خلط واضح بين هذه الليلة وبين ليلة القدر التي ورد في شأنها نزول الملائكة إلى الأرض، "ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر"⁽¹³⁾ ومن جهة أخرى طرد الشياطين والخبيث من الجن من أركان البيوت، واسترضاء الطيب من هذا الأخير، أملاً في تساكُن آمن معه.

7 - وليمة الذبالة:

تحرص معظم الأسر المغربية، احتفاء بعاشوراء، على إعداد وجبة عشاء عائلية يلتئم حولها جميع أفراد العائلة عشية التاسع من محرم. وتقوم طقوس هذه الوجبة على إعداد الكسكس بالذبالة التي يحتفظ بها لهذا الغرض، من قديد أضحية عيد الأضحى. ولا نملك تفاصيل أخرى عن الأغراض المتوخاة من هذا الطقس كما هو الشأن في غيره، ما عدا التآم جميع أفراد العائلة والأقارب والمعارف حول هذه الوجبة بمناسبة عاشوراء.

وللأسر المحلية طقوس أخرى في هذا الصدد، فهي أيضاً تعد نفس الوجبة، ويلتئم حولها جميع أفراد العائلة والأقارب، وفي نفس الموعد، لكن ليس بنفس المواصفات. إذ تستفيض عن ذيل الأضحية بالكرداس الذي تحتفظ به أيضاً من قديد نفس الأضحية. أما الذبالة فإن وظيفتها تتغير هنا، إذ تصنف ضمن أصناف البخور التي تحرق تيمناً بهذه المناسبة. ويقوم بطقوس هذا الاحتراق، بشكل خاص، مربو المواشي الذين يعرضون ما لديهم من رؤوس الماشية لدخانها آملين بهذه الطقوس ضمان سلامتها، واطراد تكاثرها.

8 - التصدق وصرف الزكاة:

تقترن عاشوراء في كل مناطق المغرب بالإقبال على التصدق على الفقراء والمحتاجين. وتقترن أيضاً بإقبال الأغنياء والتجار على إخراج المستحق من الزكاة على ما روجوه أو ادخروه من أموال خلال السنة المنفرطة، فتتشط منذ الساعات الأولى ليوم عاشوراء حركة دائبة، قوامها أفواج من النساء والرجال والأطفال من المحتاجين ومن إليهم، من سكان الأحياء الهامشية للمدن، وممن يفدون على المدن والقرى من ضواحيها القريبة والبعيدة. منهم من يطوف على المتاجر والدكاكين لجمع الزكوات، ومنهم من يجوب الشوارع والأحياء لجمع الصدقات، أو يتجه لنفس الغاية إلى المقابر التي تعرف بدورها إقبالاً كثيفاً للترحم على الموتى، وتوزيع أصناف من

(12) سورة القدر، الآيتان 3 و 4.

الصدقات بنفس المناسبة، وهي أصناف تشمل بالإضافة إلى النقود أنواعا من الحلوى وغيرها مما تم اقتناؤه ضمن مقتنيات عاشوراء كالفاكهة الجافة وما إليها. هذه الطقوس تتخللها بعض المواقف والممارسات التي تسترعي بعض الملاحظات، منها:

- إقبال الصغيرات في المدن الكبرى بشكل خاص، فردات وجماعات، خلال الأسبوع السابق لعاشوراء على طلب النقود من المارة، وهن يحملن التعاريج والدفوف كرموز للاحتفال بهذه المناسبة، مرددات من بين ما يرددن "فلوس بابا عيشور". كيف تحولت "عاشوراء" إلى "بابا عيشور"؟ هل هي استعارة لجانب من طقوس الاحتفال ب"بابا نويل"، تحول بمقتضاها عاشر محرم، برغبة من هؤلاء، إلى شخص يحمل هذا الاسم؟

- يفد البعض من سكان البوادي، أياما قبل عاشوراء، ويحلون ضيوفا لعدة أيام على ذويهم أو معارفهم من ساكنة المدن، ممن لا طاقة لهم بتحمل الضيوف، وذلك بغاية استلام حظوظهم في الزكاة من الأغنياء والتجار من أبناء باديتهم، ممن دأبوا على الاحتفاظ لهؤلاء بمبالغ مالية، كأنصبتهم في الزكاة، حتى ولو لم يكونوا ضمن من يحق أن تصرف له هذه الأخيرة.

- مقابل هؤلاء يعمد البعض من صغار التجار بالمدن إلى إغلاق متاجرهم طيلة يوم عاشوراء تهربا من إلحاح المتجولين في طلب الزكاة. وهو تهرب قد يكون أيضا من صرف هذه الأخيرة.

هذا الاقتران بين عاشوراء وبين التصديق على المحتاجين نجد له سندا دينيا في حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التوسعة على العيال يوم عاشوراء في الحديث الذي نصه "من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها"⁽¹⁴⁾ وذلك رغم أن الحديث قد حصر التوسعة على العيال، فيما لا نجد للاقتران الذي تجذر في الممارسة الاجتماعية بين عاشوراء وبين إخراج زكاة العين سندا دينيا يبرره. إذ أن آجال الاستحقاق في زكاة الأموال مرتبطة بحولان الحول عليها، وقتما تم استيفاؤه، وليس بأي شهر أو مناسبة دينية. ومع ذلك يمكن التفكير في تعليلين اثنين لهذا الاقتران.

- فقد يكون امتدادا للاقتران بينهما في التصديق بغاية التوسعة على العيال أو المحتاجين بشكل عام وفقا لنفس الحديث، فيكون صرف زكاة العين يوم عاشوراء صيغة من صيغ التصديق لذات الغاية، وهي من صميم مقاصد تشريع فريضة الزكاة، فارتبط بذلك أداء هذه الفريضة بعاشوراء التي صارت ميقاتا موحدا لحل بحلولها آجال استحقاق هذا الصنف من الزكاة، بصرف النظر عن التحديدات الفقهية ذات الصلة.

- وقد يكون مرد هذا الاقتران إلى التشابه اللفظي بين العشر وعاشوراء. فالعشر فقها هو المقدار المستحق في زكاة الحبوب أو الغلال عند جنيها أو جمع محاصيلها. وفي اللهجة الدارجة،

(14) رواه البيهقي عن أبي سعيد. انظر: مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية. أحمد الهاشمي ص 132. دار الفكر. لبنان.

II - طقوس احتفالية محلية:

1 - "ءاسروض ن وُغرضا" (٥٧٧٤ | ٥٧٧٤)

تقوم طقوس هذه المطاردة على أهازيج ذات مضمون رمزي تتشدها النساء بشكل جماعي بأصواتهن الرخيمة في إيقاع هو نفسه الإيقاع الذي تؤدي به أهازيج الأعراس محليا . وهي أهازيج تشكل مع الحركات المصاحبة لها أدوات رمزية لإبعاد القوارض والدواب والحيوانات الضارة عن السكان . ومما يرددنه فيها ما يلي :

- لترحل عنا الفئران والذئاب إلى غير رجعة، ومعها كل الوحوش التي تؤذيها !

وتتوقف طقوس المطاردة عند مشارف المدشر المجاور، وتأخذ المطاردات ومرافقوه في

الفصل الثاني : عيمعشار

تمهيد:

"ⵝⵏⵏⵓⵙ" لفظة أمازيغية في صيغة الجمع، مفرداها "ⵝⵏⵏⵓⵙ" الذي يعني لغويا: المنتسب لعاشوراء، أو المرتبط بشكل أساسي بها، أو الذي لا يحضر إلا فيها، مؤنثه "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" وذلك وفق قواعد النسبة والجمع والتأنيث في مثل هذه الكلمات في اللغة الأمازيغية. وقد تصير النسبة اسما يطلق على المنسوب، وذلك لشدة الترابط أو لاطراده بينه وبين المنسوب إليه. لذلك تسمى النار التي لا توقد إلا احتفاء بعاشوراء "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" دون ذكر المنسوب أي النار "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ"؛ ويسمى الواحد من المشاركين في الحفل الذي لا يقام إلا بمناسبة عاشوراء "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" دون ذكر المنسوب أيضا، أي الفرد المشارك فيه أو اللاعب. وجميع المشاركين "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" وقد تطلق اللفظة أيضا على هذا الحفل ذاته. وإذن فـ "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" هم أفراد المجموعة التي تحيي بهذه المناسبة حفل "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" الذي نحن بصدد الحديث من خلاله عنهم، وأيضا من خلالهم عنه. ويدعون أيضا "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" و ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔⵓⵢⵔⵓⵢⵔ (شيوخ أو رجال الليل)، وذلك في بعض بوادي تيزنيت التي تحيي أيضا هذه التظاهرة.

درجت مدينة تيزنيت على إحياء هذا الطقس الاحتفالي سنويا في إطار احتفالاتها بعاشوراء، ودأبت على ذلك لعدة عقود رغم ما تخللها من توقفات، وما يزال أبنؤها متشبثين بإحيائه بحماس لا يفتر جيلا بعد جيل. أما متى، وكيف ابتدأ هذا التقليد، فهما سؤالان لم نهتد إلى ما يسندنا من وثائق أو شهادات لتقديم إجابة مرضية عنهما، فارتأينا مكرهين إرجاءهما إلى حين وربما تجاوزهما، غير أنهما ملحان، ولا يجدي مع إلحاحهما أي إرجاء أو إلغاء. وما يمكن التأكيد عليه في هذا الصدد هو أن هذه التظاهرة كانت تمارس بنفس المحتويات والآليات المادية والشخص البشريّة خلال العقود الأولى من القرن الماضي، وذلك بناء على شهادات من لا زال حيا من شيوخ "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" إذ تتراوح أعمار البعض من هؤلاء راهانا بين الثمانين والتسعين سنة، فهم إذن من مواليد العقد الثالث وأواخر العقد الثاني من ذلك القرن، ويذكرون أنهم كانوا يحضرون طقوس "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" بشغف، وهم أطفال، قبل أن ينخرطوا فيها لاحقا. ويذكرون عندما يتحدثون أسماء لاعبين سابقين ينتمون إلى أجيال العقدين الثاني والأول. ويمكن أيضا ترجيح أن هذه الطقوس كانت متجذرة في ثقافة المنطقة قبل هذا التاريخ، وذلك في ضوء مؤشرات تحملها مضامين التراث الشعري الذي تواتر اقترانه لدى "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ" بهذه الطقوس⁽¹⁾.

زمنيا ينطلق هذا الحفل عشية التاسع من محرم كل سنة. وطقوسيا فور الانتهاء من طقوس حفل آخر هو إحراق "ⵝⵏⵏⵓⵙⵓⵢⵔ"، وتستمر فعالياته أسبوعا كاملا، في توزيع زمني لها على

(1) أقدم حفل يعمشار ذكرته الوثائق التي اهتمينا إليها لحد الآن كان يوم 17 أبريل 1934. أورده الأستاذ عبد الرحمان الإخصاصي في

مقال بعنوان: "Réflexion sur la mascarade de Achoura", *Signes du présent*, N° 6, 1989 p. 31.

مختلف أحياء المدينة، وبتتسيق تام ما بين مجموعات "EHCeO" المتواجدة بها، بعد أن صارت متعددة. وهو حفل في حجم المهرجان بما يحتضنه من حفلات وسهرات زاخرة بطقوس تؤدي من خلال أشكال فنية مختلفة كالموسيقى والرقص والغناء ومشاهد تمثيلية وأخرى كرنفالية وغيرها مما حافظ عليه هؤلاء، وما دأبوا على ابتكاره من تشخيصات، وصيغ فرجوية خاصة لا حصر لها.

في هذا الحفل/المهرجان تخضع العروض على تعددها وتنوعها لطريقة في الأداء خاصة ب "EHCeO"، وتخضع محتوياتها وطقوسها أيضا لهذا الأسلوب المتفرد الذي يعطي المهرجان تفرد وخصوصياته، ويستمد هذا الأداء تفرد من اقتضائه المبادئ الأساسية التالية:

1 - التكرار الذي يخفي تماما ملامح المشارك، ويحيله إلى يهودي بالمواصفات التي تكونت له في ثقافة المنطقة، وذلك من خلال أقنعة بشعة وملابس رديئة، وتغيير الصوت والحركات، وأي فشل في إخفاء هوية المشارك، يفقده صفة "EHCeO"، ويعفيه من المشاركة.

2 - التشبه باليهود في كل شيء، في المظهر والسلوك، ولهجة الحديث ولكنة النطق، إذ أن "EHCeO" يصبح يهوديا في كل تعاملاته طيلة فترة العروض، والعروض ذاتها يهودية الشكل والمضامين والأداء.

3 - التحرر نتيجة لذلك من كل الضوابط الأخلاقية والدينية والاجتماعية. فمن وراء الأقنعة واصطناع لهجة اليهود في الحديث، يتأتى ل "EHCeO" أن يتعاملوا طيلة فترة العروض بخطاب بذيء الألفاظ، مشحون بصيغ وتعايير صريحة، وأخرى رمزية للمباح من القول، وللمحظور منه.

في عروض هذا المهرجان، تصل مظاهر اللهو والمرح التي تطبع طقوس الاحتفال بعاشوراء في المنطقة إلى أوجها، وتتحقق الفرجة بكل ألوانها. ويصل الانفلات من المألوف والسائد إلى حد اختراق كل ما هو مقدس: اجتماعيا كان أو دينيا أو أخلاقيا، ليس من قبل "EHCeO" فحسب، في كلامهم، وأدواتهم، وأشياءهم، ولكن من قبل الجمهور المتلقي أيضا، على اختلاف شرائحه، بإقباله، وتقبله باستمتاع واستحسان لكل ما يتلقاه من صنوف ذلك الخطاب، وهو ما يجعل من هذه التظاهرة ظاهرة طافحة بالتساؤلات، لا يملك من يشاهدها عن كذب إلا أن يواجه العديد منها، عن أصولها، وعلاقتها بعاشوراء من حيث هي حدث، وبالثقافة المحلية، وعن دلالات مضامين وأشكال عروضها، وأخرى غيرها، وأن يتعامل بحذر شديد مع ما يساق في هذا الصدد من إجابات جاهزة، وتفسيرات تتصف على قلتها بالتسرع والضحالة⁽²⁾.

(2) منها تفسير الاحتفاء بعاشوراء بتأثيرات شيعية، واعتبار نيران تامعشورت طقوسا ذات أصل مجوسي، وعروض يبعشار طقوسا يهودية صرفة، وإذن فكل ذلك مناف للعقيدة الإسلامية، ولمذهب أهل السنة والجماعة، ويجب لذلك نبذه.

تتظم في هذه العروض فعاليات عديدة، شديدة الاختلاف والتنوع لكنها تنضبط بشكل تلقائي للقواعد التي ترسخت لطقوس "C₂H₆O" في ذاكرة المدينة، وتتألف في انسجام تام لخلق فضاء احتفالي فريد ومتميز. من هذه الفعاليات ما هو أساسي، لا غنى عنه لالتأم الحفل، كالشخصيات ذات الأدوار القارة، من عازفين وراقصين ومنشدي النصوص، أو مشخصيها على شكل اسكيتشات هزلية، بالإضافة إلى لابس مجسمات بعض الحيوانات. ومنها ما هو ثانوي، وهو لاحصر له، كتشخيص المهن والخدمات التي يزاولها اليهود أو غيرهم من خلال مرافقها وأدواتها، مما يتم إدماجه من حين لآخر ضمن مواد الحفل لإغناء الفرجة والرفع من وتيرتها.

إن الأمر لا يتعلق بأطفال يلهون ويعبثون، فأعمار العناصر المشاركة لا تقل عن سبع عشرة سنة، وقد تتجاوز الثلاثين، وفيهم عزاب ومتزوجون، وتلاميذ وطلبة، ومشتغلون في التجارة، وفي مختلف الحرف، وفيهم من لا يشتغل. والجمهور بدوره عريض، ومن فئات عمرية ومجتمعية مختلفة، من أحياء المدينة ومن القرى المحيطة بها.

والواقع أن غنى التظاهرة من حيث المضامين، وإذن من حيث الفعاليات والآليات التي تؤدي بها، وتشابك العلاقات فيما بينها عند الانخراط في الأداء، قد أثار عدة صعوبات منهجية واجهتنا بقوة عند التفكير فيها بحثاً عن أنجع الطرق لإخضاعها لمقاربة وصفية تفي بالمطلوب. فارتأينا في هذا الصدد تتبع هذه الفعاليات، وآلياتها بالعلاقة مع المراحل الأساسية لسير المهرجان بدءاً بمرحلة الإعداد، فمرحلة تقديم العروض، وانتهاء بإقامة وليمة الاختتام.

أولا : مرحلة الإعداد

خلال اللقاءات التي أجريناها مع مسنين من قدماء "٤٤٤٤٤٤٤٤" ، تردد الحديث كثيرا، في سياق مأخذهم، وهي كثيرة، على أداءات "٤٤٤٤٤٤٤٤" راها، عن تعدد مجموعات هؤلاء، وعدم انضباط أفرادها لطقوس اللعبة كما كانوا هم يمارسونها من قبل، وذلك داخل مجموعة واحدة هي التي كانت تؤطر المؤهلين من شبان المدينة. غير أن تعدد المجموعات في حد ذاته ليس بالضرورة إخلالا بطقوس اللعبة بقدر ما هو آلية، عندما يكون موجها لتثقيف البعد الإبداعي لدى هؤلاء، من خلال التنافس على الأداء الجيد للأدوار، وابتكار ما يتمتع الجمهور من صيغ فرجوية وأدوار جديدة. كما أنه لا يعزى بالضرورة إلى عدم الانضباط لهذه الطقوس، بقدر ما هو استجابة لما يقتضيه تطور المدينة في كل المجالات، وإذن قصور المجموعة الواحدة عن استيعاب كل الراغبين من أبنائها في الانخراط في هذه الطقوس.

ومع ذلك لا ينبغي الاطمئنان إلى هذا التعدد، أو الاستهانة بما يمكن أن يترتب عنه من سلوكات بعيدة عن مقاصد اللعبة وطقوسها، وذلك في غياب أي تأطير يضبطها ويحول دون القيام بممارسات منحرفة؛ إذ من السهل انتحال صفة "٤٤٤٤٤٤٤٤" ، وادعاء الانتماء إلى مجموعة معينة، بمجرد التكرار وراء الأقنعة، والتجول بهذه الصفة عبر دروب المدينة وأزقتها لارتكاب أعمال وممارسات منحرفة تطال المارة، وتشكل مبررات قوية لمنع - أو للتهديد المستمر بمنع - تنظيم حفلات "٤٤٤٤٤٤٤٤" .

لذلك بادر مهتمون من أبناء المدينة إلى تدارك الموقف بإنشاء إطار للتنسيق فيما بين المجموعات بتأسيس بعض الجمعيات التي تضافرت جهودها على ضبط توجهات وممارسات المجموعات الراهنة، وإخضاعها إلى حد ما، من خلال تنسيق آخر بينها وبين السلطات المحلية لضوابط تنظيمية ساهمت في الحفاظ على عددها الذي ينحصر حاليا في ثلاث مجموعات تمثل الأحياء الكبرى للمدينة هي مجموعات ٤٤٤٤٤٤٤٤ ، و ٤٤٤٤٤٤٤٤ ، و ٤٤٤٤٤٤٤٤ ، ويسهر على تأطير كل منها طاقم يضم مدربين وتقنيين وأمناء المال، بالإضافة إلى مسؤولين عن علاقاتها فيما بينها، وعلاقتها بالسلطات المحلية.

ومن المؤكد أن ما ينتظر هؤلاء، وكل من في إمكانه ذلك أكثر أهمية لا على المستوى التنظيمي فحسب، ولكن على مستوى الحفاظ على أصالة هذا التراث وخصوصياته أيضا، إن في أشكاله ومضامينه، أوفي تقنيات وأدوات عرض هذه المضامين. وذلك بإخضاع نزوع الأجيال الشابة إلى تحديث هذه الأشكال والتقنيات لتأطير دائم وواع بما يقتضيه الحفاظ على تلك الخصوصيات من دمج جيد لعناصر جديدة ضمنها، تغني الفرجة، وتخضع في ذات الوقت للمنطق الذي يحكم أداءات "٤٤٤٤٤٤٤٤" .

تأخذ المجموعات في الإعداد لإحياء هذا المهرجان أياما، وربما أسابيع قبل عاشوراء، وتطول مدة الإعداد أو تقصر حسب حجم كل مجموعة من حيث عدد أفرادها، وحالة الآليات المزمع توظيفها في عروض الدورة، وتتكشف الاستعدادات باقتراب التاسع من محرم وتشمل فيما تشمل تنظيم تداريب لعناصر المجموعة على أدوار الشخصيات الرئيسية منها والثانوية، وإعداد ما يقتضيه أداؤها من مجسمات وأزياء وأقنعة وغيرها مما يلزم ترميمه منها، أو إعادة بنائه أو اقتناؤه.



أدوات العمل بأحد أركان الحوش



إحدى ورشات الإعداد بالحوش

I - الشخصيات والأدوات :

يتراوح عدد أفراد كل من هذه المجموعات حاليا بين ثلاثين وخمسين فردا من اللاعبين والمؤدين لمختلف الأدوار ومن الهيئة المنظمة، مؤطرين، وتقنيين ومسؤولين. ذلك ما عايناه مباشرة في دورتي 2004 و2005. فيما لم يكن هذا العدد يتجاوز في الخمسينات إلى الستينات من القرن الماضي حوالي عشرين فردا كما تؤكد ذلك شهادات العديد من مشاركي ومؤطري تلك الفترة. وفي "الحوش"، وهو المكان المخصص للاستعدادات أوفي غيره من الأمكنة المتاحة، يتم توزيع الأدوار على المرشحين للمشاركة في الدورة، وذلك بناء على معايير ومواصفات بيت فيها المؤطرون في ما يشبه المباراة، انطلاقا من إلمامهم بما يقتضيه تشخيص هذا الدور أو ذاك، وهي مواصفات تركز أساسا على المؤهلات الذاتية للمترشح كالقدرة على التشخيص، والإلمام بقواعد اللعبة، وحفظ نصوصها بالإضافة إلى الانضباط والإخلاص للمجموعة، وغيرها، وفي ضوء هذه المؤهلات يتم توزيع الأدوار والمهام على المؤهلين أو يتم توزيع هؤلاء على ثلاثة طواقم رئيسية هي :

طاقم الموسيقى والرقص والإنشاد، والطاقم الخاص بالمجسمات، وطاقم ثالث نقترح نعتة بالمتجول بالنظر إلى تنوع مكوناته، والتقل المستمر لفعالياته.

أما اكتساب مهارات التعامل مع الدف، فانه يتطلب مثله في ذلك مثل باقي الأدوات الموسيقية، استعدادات ذاتية معينة، بالإضافة إلى المواظبة والأناة في ممارسة التعامل معه، وذلك في إطار مختلف عروض الموسيقى والرقص الجماعية، كأهازيج وأحواش مختلف المناسبات. فمن خصوصيات هذا التعامل أن العزف على الدف متعب، فهو من الأدوات التي يتطلب الاشتغال عليها تحملاً، بالنظر إلى تركيبته، بما هو إطار خشبي مغلف بجلد الماعز أو غيره، يتعين حمله، والتحكم فيه بواسطة الإبهام، من خلال ثقب في هذا الإطار، في ذات الوقت الذي تشتغل فيه باقي أصابع اليدين معاً دون توقف. ومن خصوصياته أيضاً أن جلد الدفوف في حاجة إلى التسخين على النار من حين لآخر، حتى يتوتر ويتيح للعازف الحصول على النغمة

المطلوبة. لذلك يضطر هذا العازف أو ذاك للانسحاب من الطاقم من حين لآخر، لتسخين أدواته، مما قد يؤثر سلبا على وتيرة الإيقاع.

لهذا وذاك يتعين إعداد احتياطي كاف من الذين يتقنون التعامل مع الدفوف لملء أي فراغ ممكن بغاية الحفاظ على تماسك الأداء، ووتيرة إيقاعه. ولذلك أيضا تعطى الأولوية من طرف المؤطرين في مرحلة الإعداد لفئة العازفين على الدفوف بانتقاء أجود العناصر وتدريبها بشكل فردي وجماعي، وكذا بتفقد الدفوف واقتناء الجيد منها عند الحاجة.

ب- الطبالون



الطبالون

هم كالعازفين على الدفوف، من فعاليات الطاقم الموسيقي لـ "ⵝⵏⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ"، وإحدى دعاماته، والطبل أو "ⵝⵏⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ" باللغة المحلية أداة موسيقية لا توظف إلا في بعض أشكال الأحواش بشرقي وجنوبي تيزنيت. فليست الطبول كالدفوف التي لا غنى عنها في أي من هذه الأشكال. ولا تعرف مدينة تيزنيت وضواحيها الطبول في أحواشها المحلية، فهي أدوات مرتبطة في ذاكرتها بمجموعات "ⵝⵏⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ" أو كشناوة، غير أن "ⵝⵏⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ" أدمجوا هذه الأداة ضمن عدتهم الموسيقية، في إطار تطعيم جوفتهم بما لا يتنافر من الأدوات مع تلك التي دأبوا على توظيفها، فصار حضور الطبل فيها كحضور الدف، وموقع الطبالين وعددهم فيها كموقع وعدد العازفين على الدفوف، فكان من تألف العزف على الأداة جنباً إلى جنب ما كان متوخى من الجمع بينهما، وهو إغناء أداء الجوقة بإنتاج إيقاع أكثر تميزاً وإطراباً.

ومثل الدفوف، الطبول من حيث الحاجة إلى عدة تمارين لإتقان التعامل معها، ومن حيث عبء تقلدها، وإن كانت أقل إتعاباً من الدفوف وأيضاً من حيث الاضطرار إلى تسخين جلودها من حين لآخر، وهو ما يدركه المؤطرون، فيحرصون على إعداد طاقم كاف وكفء من فئة الطبالين لملء الفراغات التي قد تحدث في الجوقة، وللتناوب على الطبول في حالات عياء هذا الطبال أو ذاك. ولأن المواصفات المطلوبة للاشتغال على الدفوف والطبول هي نفسها تقريبا، فإن الإعداد

ينصب في لحظات منه بالحوش على تدريب عناصر الفئتين على التعامل مع الأدوات معاً، حتى يتأتى لكل منها تقلد الدف أو الطبل بنفس الكفاءة عند الضرورة.

ج- العازفون على الناي "ᠡᠭᠡᠰᠡᠳᠡᠨ ᠨᠠᠢ"

و "ᠡᠭᠡᠰᠡᠳᠡᠨ" أو الناي أداة حاضرة بقوة في معظم الأهازيج الشعبية بالمنطقة، وحاضرة بقوة أيضاً في الطاقم الموسيقي لـ "ᠡᠭᠡᠰᠡᠳᠡᠨ"، كإحدى دعائمه الأساسية، إذ يصعب استساغة الإيقاع الناتج عن أصوات باقي أدوات الجوقة، مهما كانت متناغمة عندما يغيب عنها الناي. ويبدو أن ما يضيفه صوت الناي على إيقاعات أهازيج وأحواش المنطقة غير قابل للتفسير، وغير قابل للتفسير أيضاً ما تخلقه هذه الإيقاعات من متعة وانتشاء لدى المتلقي، خاصة إذا ساهم في أدائه أكثر من عازف واحد، إذ أن النايات كالدفوف والطبول كلما تعدد العازفون عليها في أي طاقم موسيقي كلما أطرب أداؤه وأمتع.



إد بولعود

غير أن إتقان العزف على الناي أكثر صعوبة من باقي أدوات الجوقة، ويتطلب لذلك وقتاً أطول مما تتطلبه. فقد لا تكون المدة المرصودة للاستعدادات كافية لاكتساب التحكم المطلوب في التعامل معه. لذلك يعتمد الراغبون في تقلد هذه الأداة إلى تعاطي العزف عليها بشكل مسبق، أي قبل فترة الإعداد التي تخصص للتدريب عليها في علاقتها بباقي الأدوات أثناء الاشتغال داخل الجوقة. وإلى ذلك فإن العزف على الناي بالنظر إلى ميكانيزماته أكثر إجهاداً للعازف منه من باقي

الأدوات تلك، وهذا وذاك من خصوصياته التي يدركها مؤطرو مجموعات "ⵍⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ" فيحرصون لذلك على إعداد ما يكفي من عناصر متمرسة لطواقمها الموسيقية.

د- العازف على الناقوس ⵍⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ

هو العازف الذي يمكن الاكتفاء بفرد واحد منه، سواء في الأحواشات المحلية أوفي جوقـة "ⵍⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ"، ومع ذلك فدوره في الإيقاع بارز، رغم أنه ليس أساسيا فيه. والناقوس أبسط الأدوات الأنفة الذكر وأسهلها تعلما، بالإضافة إلى أن الاشتغال عليه اقل جهدا وتعبا. لذا فقد لا يثير أي إشكال للمؤطرين، فأى من أفراد الجوقـة يمكن أن يتولى مهمة النقر عليه طيلة فترة العرض دونما اضطرار إلى تعويضه. ويذكر أن وضع الناقوس أثناء الاشتغال عليه متميز لدى "ⵍⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ". فبالنظر إلى شكله ومادته، من حيث هو إطار حديدي دائري مقعر فهو يعلق على مستوى حزام الناقر عليه، الواقف والراقص في ذات الوقت، فيما يوضع في الغالب على الأرض، أو فوق رأس العازف في الأهازيج والأحواشات المحلية التي يحضر فيها.

هـ- حاملو الأعمدة الخشبية ⵍⵎⵓⵙⵉⵖⵉⵏ

قوام هذه الفئة أفراد متعددون، تتحدد مهمتهم في تقلد أعمدة خشبية بطول مترين إلى مترين ونصف ، يدقون بها بشكل جماعي على الأرض بيد واحدة أو بكلتا اليدين دقة واحدة منتظمة، وذلك في تناغم تام مع نغمات باقي أدوات الطاقم، فتحدث مجمعة صوتا واحدا منتظما، يشكل



ذوو الأعمدة الخشبية يتأهبون للانخراط في العرض

مكونا مكملا للإيقاع الصادر عن الجوقة ككل، بحيث لا يكتمل الإيقاع إذا ما غابت عنه الدقات الجماعية المنتظمة لتلك الأعمدة. وهم على هذا الإيقاع ومعه يرقصون في حركة واحدة منتظمة أيضا، ويرددون بشكل جماعي ما يلقيه "الحاج". وهو الفعالية التي سنتحدث عنها بعد حين. من أشعار خاصة ب"ⲉⲕⲏⲓⲟ" ، وقد عمدوا في الدورات الأخيرة إلى تعليق قطع قصديرية بأعلى ووسط كل عمود بغاية إحداث صوت إضافي مسموع عند الضرب بها على الأرض.

وفي اصطلاح هؤلاء يسمى أفراد هذه المجموعة "ⲉⲕⲏⲓⲟ ⲙⲉⲧⲉ" أي ذوو الأعمدة الخشبية، وهي الفئة الأكثر عددا في فعاليات الطاقم الموسيقي ل"ⲉⲕⲏⲓⲟ" ، فقد يشترك في العرض الواحد ما بين 30 و40 فردا، ولا مانع لأكثر من هذا العدد، وذلك لسهولة أداء المهام المنوطة بكل فرد. وتستقطب بتوجيه من المؤطرين كل العناصر المبتدئة ممن لم يتقن بعد العزف على أي من الأدوات الآتفة الذكر، وممن ليس بعد مؤهلا لتولي مهام أخرى في هيئة "ⲉⲕⲏⲓⲟ". إذ أن الاشتغال بهذه الأعمدة هو الخطوة الأولى لمن يريد أن ينخرط في هذه الهيئة.

ومع ذلك فإن الصورة التي ترسخت في ذاكرة المنطقة عن "ⲉⲕⲏⲓⲟ" ظلت مقترنة بالدور الذي تلعبه هذه الفئة في طاقمها الموسيقي، وبالمشهد الذي تبنيه بإيقاع أعمدتها الخشبية وأقنعتها المثيرة، وبالفرجة التي تخلقها برقصها الطقوسي وترديد أشعارها المثيرة، فصورة هؤلاء، بما هي كذلك، هي التي تمثل في الأذهان قبل غيرها عن "ⲉⲕⲏⲓⲟ". هذا وبالنظر إلى مهامها تلك، فإن حاجة عناصر هذه الفئة للإعداد لا تتعدى بضعة تداريب على التنسيق بين دقاتها وبين نغمات باقي أدوات الطاقم الموسيقي.

و- الحاج :

ينتمي إلى فعاليات الطاقم الموسيقي ل"ⲉⲕⲏⲓⲟ" ، وهو الذي يتولى إلقاء الأشعار التي يرددنها بعده كل أفراد الفئات الآتفة الذكر. ونعته بالحاج مجرد اصطلاح من اصطلاحات "ⲉⲕⲏⲓⲟ". وإلا فلا علاقة بين وظيفته في الطاقم وأشعاره الساقطة وبين البعد الديني الذي يقترن بهذا النعت، ولعل أقرب ما يبدو مبررا لاعتماد هذا المصطلح، مما له صلة بهذا البعد، هو مكانة الحاج في الطاقم بوصفه قدوة لباقي الفعاليات التي تقتدي به في إنشاد ما يلقيه من أشعار.

إن مركزية هذه الأشعار، لا في العروض الموسيقية فحسب، ولكن في طقس "ⲉⲕⲏⲓⲟ" ككل - كما سنرى ذلك لاحقا. تؤهل شخصية الحاج لأن تكون هي الشخصية المركزية في هيئة "ⲉⲕⲏⲓⲟ" كلها. ومن ثم فإن تولي المهام المنوطة بهذه الشخصية رهين بامتلاك عدة مؤهلات منها:

- حفظ كل الأشعار التي تواترت ل "xHCoO" عبر الأجيال، بحسنها وبذيتها، مع إتقان التعامل معها عند الإنشاد وتحيينها بانتقاء ما يناسب منها تبعا لمختلف المواقف التي تتوارد خلال العروض.

- امتلاك القدرة على إبداع الجديد من هذا الصنف من الأشعار سواء بإعداد سابق لها، أو بارتجالها أثناء الإنشاد حسب المواقف ودون سابق إعداد.

- إتقان تقليد أصوات اليهود وتمفصلات نطقهم للكلمات والعبارات الأمازيغية منها والعربية.

- امتلاك صوت فصيح وقوي يجيد الإنشاد ويسمعه واضحا للجمهور وللفعاليات التي ترده بالإضافة إلى الجرأة التي قد تصل أحيانا إلى حد الوقاحة.

وبالنظر إلى محورية الحاج في الإلقاء والإنشاد داخل الطاقم، فإن العديد من المشاركين يتوقعون إلى تقلد وظيفته، فيعمدون إلى تعلم التقنيات المطلوبة بالإقبال على استظهار الأشعار، والتدريب على ابتداء الجديد منها، مع الاقتداء بهذا الحاج أو ذاك في الإنشاد والإلقاء، وفي اصطناع تقنياته التكرية في النطق. فيما يعمد المؤطرون إلى انتقاء المؤهلين من هؤلاء لإعداد أكثر من حاج، سواء عند الاستعدادات التي تجري في الحوش، أو خلال تقديم العروض حيث يتعهد الحجاج الممارسون بتوجيه وإرشاد بعض العناصر المرشحة، ك"مشاريع لحجاج بدائل" عند الحاجة.

تلك هي الفئات التي تنظم في طاقم العزف والرقص والإنشاد الذي يشكل قطب الرحي في مهرجان "xHCoO"، وتحضر هذه الفئات بانتظام إلى الحوش أو ما إليه، بكل عناصرها خلال فترة الاستعدادات لإجراء التداريب على التعامل مع الأدوات والمهام التي ستناط بكل منها لاحقا في هذا الطاقم. وتتوزع التداريب خلال هذه الفترة عادة على المستويات التالية:

- على مستوى كل فرد على حدة، وذلك بغاية إتقان العزف على الأداة التي تأهل لتقلدها، والإلمام بالإمكانيات التي تتيحها في إصدار هذه النغمة أو تلك قصد التحكم فيها عند العزف، مع التركيز في هذه النغمات على ما له علاقة بالإيقاع الخاص ب "xHCoO".

- على مستوى الفئة الواحدة بغاية التنسيق بين أفرادها في العزف على الأدوات التي تولتها، وتوزيع أدوار العزف داخل الفئة، والتمرن على تبادلها، مع التركيز أيضا على ما له علاقة بإيقاع "xHCoO". ويتعلق الأمر في هذا المستوى بالفئات التي تضم أكثر من عازف كالتبالين والعازفين على الدفوف والنايات.

- على مستوى الفئات كلها، وذلك بتتويج المرحلة الإعدادية، بانخراط الفئات بكل عناصرها داخل الحوش في عروض حقيقية، بغاية ضبط مهام كل منها، والتنسيق فيما بينها في إطار الطاقم، تمهيدا للانتقاء الأخير للعناصر الرسمية والاحتياطية التي ستحدد الشكل النهائي لبنية هذا الطاقم.

هذا وبموازاة مع هذه التدريبات يتفقد المعنيون ما توفر في الحوش من أدوات العزف وغيرها، لتعويض ما لم يعد صالحا منها، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، وكذا صنع أو اقتناء الضروري منها حتى يكون الطاقم بكل فعالياته جاهزا في الليلة المرتقبة.

2 - طاقم المجسمات :

قوام هذا الطاقم فريق آخر من الفعاليات التي تشارك في طقس "ḪCḪO" وتضيف إلى فضائاته أشكال فرجوية أخرى إلى جانب الأشكال التي تؤديها فعاليات الطاقم الأنف الذكر. وتتخذ مشاركة هذه الفعاليات شكل الاشتغال من داخل دمي كبيرة، أو مجسمات تحملها لحيوانات أو غيرها، وهو ما من أجله صنفناها في إطار طاقم نعتاه بطاقم المجسمات. ويتم انتقاء أفراد هذا الطاقم بذات الشروط التي يتم بها انتقاء أفراد الطاقم السابق، وبناء على نفس المؤهلات والمواصفات، مع تشديد المؤطرين هنا على أمانة الفرد وإخلاصه للجماعة. إذ أن عناصر هذا الطاقم هم ممن يسمح لهم بجمع مبالغ مالية من جمهور المتفرجين لفائدة صندوق المجموعة.

ولإعداد آليات ومرافق اشتغاله من دمي وملحقاتها يعتمد أفراد هذا الطاقم إلى جمع ما يلزم لها من مواد وأدوات، وجلبها إلى الحوش للانخراط في صنعها أو ترميم ما استعمل منها في دورات سابقة. وذلك في ورشات عمل داخل الحوش. وتشكل بعض الحيوانات نماذج مفضلة لمجسمات "ḪCḪO"، إذ باستثناء مجسم واحد يحيل على مركب بحري فإن باقي المجسمات المعهودة لـ "ḪCḪO" هي للحيوانات الأليفة والمتوحشة التالية:

أ- الجمل QḪC

هو أشهر مجسمات "ḪCḪO"، وأكثرها إثارة للإعجاب بالنظر إلى ما تكشف عنه دقة التأليف بين الأشياء التي صنع منها، من ذكاء خلاق لدى صانعيه، إذ هي أشياء جد متباينة إن من حيث طبيعتها وأشكالها أو الحقول التي تنتمي إليها. فليس بينها من علاقات أو روابط من أي نوع كان في الواقع. ومن الصعب تخيل علاقات ما بين أشياء بهذا التباين إلا لخيال مبدع منشغل بها، كخيال مهندس الطاقم التقني لـ "ḪCḪO" الذين اهتموا إلى التأليف بين هذا التباين في علاقات جديدة، وأناطوها بوظائف غير التي كانت لها في حقولها الأصلية، وذلك في إطار شكل جديد هو بنية مجسم الجمل بالذات أو "QḪC ḪCḪO". والتأليف بين مواد قديمة لإنشاء أشكال جديدة هو من المقومات الأساسية للإبداع في كل مستوياته. وكنماذج للعلاقات المنشأة داخل هذا المجسم نورد ما يلي :

- 1 - لتشكيل قوائم الجمل يؤتى بشخصين، أحدهما بمثابة قائمته الأماميتين والآخر بمثابة قائمته الخلفيتين، وهما يحملان على رأسيهما هيكل مجسم الجمل الذي يتكون من الجذع والعنق والرأس المصنوعة من الأشياء المتباينة الأنفة الذكر،



الجمل

2 - يستعان في صنع هيكل الجمل بعمود خشبي في طول هذا الجذع، أي ما بين ذيله ومقدمة عنقه، وبكرة بلاستيكية في حجم كرة القدم، بعد تشطيرها إلى نصفين متساويين، يثبت كل منهما بإحكام وبشكل مقعر إلى أسفل في طرفي العمود الخشبي، وذلك بغرض وضع رأس كل من حامله داخل تجويف كل نصف أثناء حمله، بعد حشو التجويفين بما يقي الرأس ويساعده على التحمل كالصوف أو القطن وما إليهما .

3 - لإبراز الأبعاد الأساسية لمجسم الجمل كانتقاخ جانبي البطن واحديداب الذروة تستعار الإطارات الحديدية للدراجات النارية (Les jantes) وتدمج في المجسم بربطها بالعمود الخشبي بتقنيات ووضيعات تتم عن ذكاء عملي راق تعطي للمجسم الأبعاد والنقوش المطلوبة.

4 - لتشكيل عنق الجمل يستعان بعتلة خشبية، من التي تستعمل كمقبض للفأس أو ما إليها، يمسكها الشخص الأمامي الحامل لهيكل الجذع، بحيث تكون في وضعية قائمة أو مائلة كوضعية عنق الجمل بالنسبة إلى جذعه وتبدو في أسفلها متصلة بهذا الجذع عند القائمتين الأماميتين. أما في طرفها الأعلى فهي متصلة بفكين عظميين لرأس حمار أو بغل بكامل أسنانه، يمثل رأس الجمل، وهو مربوط برباط يمسك بطرفه ماسك العتلة نفسه، فيتحكم بواسطته في تحريك الفك السفلي، إذا جذبه انفتح فم الجمل، في حركات، كحركات المضغ والعض وما إليهما، وإذا أرخاه انسدت، وأحدثت الأسنان عند التقائها اصطكاكا مسموعا ومثيرا للضحك.

5 - بعد تركيب أجزاء جسم الجمل تغطى كلها، والشخصان الحاملان لها من داخلها، برداء على مقاسها، وفي لون وبر الجمل، مع إثبات قطع من الصوف عليه في لون وبر الجمل

أيضا، فيكتمل المجسم حينئذ وينتصب واقفا، ويبقى أن على حامليه مواصلة التمارين لإتقان مشية الجمل وركضه، وطريقة بروكه ونهوضه ومختلف حركاته. وهو ما يركز عليه المؤهلون لأدائها أثناء المرحلة الإعدادية.

ويذكر أن جمل "٤٢٨٤٥٠" هو مجسم للجمل الوحيد الذروة المعروف محليا، ولم يضيفوا مجسم الجمل ذي الذروتين إلا مؤخرا، وذلك ربما في إطار تطوير مختلف أدوات وآليات "٤٢٨٤٥٠". ويذكر أيضا أن كل فرقة من فرق "٤٢٨٤٥٠" تعمل على صنع واقتناء أكثر من مجسم لهذا الصنف أو ذاك من الجمال، وتشغل بها كلها في عروض نفس السهرة.

ب- الحمار ٥٢٨٤٥٠

مجسمه كمجسم الجمل من حيث تباين المواد التي تدخل في بنائه، ومن حيث براعة مهندسيه في ربط علاقات جديدة بين هذه المواد خارج سياقها الأصلي وإن كان أقل تعقيدا من مجسم الجمل. وما يختلف فيه مجسم الحمار - ومعه مجسم البغل أيضا - عن باقي مجسمات "٤٢٨٤٥٠" هو حرص هؤلاء على أن يحملوه العديد من الدلالات التي تقتزن بالحمار ٥٢٨٤٥٠ عادة في الثقافة الشعبية المحلية، فيقودون الفرجة من خلاله إلى ما هو معهود في عروض "٤٢٨٤٥٠" من استخفاف بالمواضيع الأخلاقية، واعتماد خطاب بذيء الألفاظ، وهو ما يدخل في نسيج التعامل مع كل مجسمات وأدوار "٤٢٨٤٥٠"، مع تفاوت في مدى هذا الاستخفاف، لذلك يدمجون في مجسم الحمار، وكذا مجسم البغل ما تقتضيه الإحالة على هذه الدلالات من مواد وأشياء ويؤلفون بينها لتعطي للمجسم الشكل الدال عليها على الطريقة التالية :

يقع التركيز في هذا المجسم على عنق الحمار ورأسه وعلى ملحقاتهما كاللجام والأربطة الجلدية المتصلة به، وذلك بإتقان تجسيدها من مواد مختلفة تتيح الحصول على شكل عنق الحمار ورأسه مع إبراز حجم عينيه وفمه وأذنيه الطويلتين بشكل خاص مع العناية بإثبات أربطة اللجام في أماكنها على طول جانبي رأس الحمار، وعلى جبينه بمهارة وإتقان.

أما الجزء الأكبر من المجسم فالذي يجسده هو الشخص الذي يلعب دور الراكب على الحمار، وذلك من خلال سلهام واسع يرتديه، ويوهم أنه يغطي به جذع الحمار، مشكلا برجليه قائمتي هذا الأخير الأماميتين فيتكامل بذلك مع مجسم العنق والرأس الذي يتقلده مربوطا إلى عنقه، فيبدو المجسم في صورته النهائية شكلا لحمار عليه راكب يمسك الرباط الجلدي المتصل باللجام بيده اليسرى، ومن ورائه بقية جذع الحمار وذيله، ويمسك بيده اليمنى ما من أجله صنع هذا المجسم أساسا، وهو عضو الحمار التأسلي، يخفيه تحت السلهام أحيانا، ويشهره أحيانا أخرى وهو يتألف غالبا من عتلة خشبية في طول مبالغ فيه لعضو الحمار الواقعي مكسوة بالإطار المطاطي

الداخلي لعجلة الدراجة النارية أو العادية (Chambre à air) ليعطيه لون السواد، وذلك بعناية فائقة تبرز كل خصوصياته وأبعاده ولواحقه.

ج- البغل ٥٥٨٨٥٥

لا يختلف مجسم البغل عن مجسم الحمار إلا في بعض التفاصيل التي يقتضيها التمييز بينهما في مظهرهما الخارجي، وبشكل خاص في تقنية صنع عضوه التناسلي التي تختلف عنها في مجسم الحمار. إذ يستعيرون لتجسيده يقطينة طويلة وغليلة من فصيلة اليقطين المسمى محليا "٥٥٨٨٥٥" وذلك بعد تربيتها لهذا الغرض وتجفيفها وإفراغها مما بداخلها من بذور. وفيما عدا ذلك فهو نفس المجسم سواء من حيث تقنيات التأليف بين المواد والأشياء التي يتكون منها، أو من حيث التكامل بين مجسم عنقه ورأسه وبين الشخص الذي يركب عليه، وكذا من حيث البعد الدلالي والفرجوي لإبراز عضوه التناسلي، وهو ما يعفينا عن إعادة ما قلناه عن مجسم الحمار. هذا ولاقتران الاشتغال على هاذين المجسمين بالتححرر من كل ضابط أخلاقي فإن المؤطرين يعمدون إلى تأهيل عدة أفراد من ذوي الاستعدادات الجسمية والنفسية المؤهلة لتقليد مختلف حركات وركلات الحمار والبغل، والقادرين على التعامل ببذيء الكلام وإتيان الحركات اللاأخلاقية بمنتهى الجراءة، ودون أي استحياء.

د- البقرة ٥٥٨٨٥٥+

يتكون هذا المجسم من جزأين رئيسيين هما: الهيكل العظمي لرأس البقرة والشخص الذي يتقلده، ويشكل بجسمه بقية جسم البقرة. ويختار هذا الهيكل من بين هياكل الرؤوس المجلوبة إلى الحوش، على أن تكون كل أجزائه سليمة، وبشكل خاص قرنائه اللذان ينبغي أن يكونا قرنين للبقرة المعروفة محليا. ويستعين التقنيون في تشكيل مجسم رأس البقرة بمواد مختلفة كخرق من الثوب أو قطع من الصوف أو ما إليه، وذلك لإبراز أجزائه كالعينين والأذنين، ولحشو فراغات ما بين عظامه أو تغليفها باللون المراد للبقرة، مع الحرص خلال كل ذلك على أن يكون المجسم قابلا لأن يحمل دون عناء على رأس الشخص الذي سيتقلده. أما هذا الشخص فانه يختار ممن يستطيعون حمل هذا المجسم، وممن يتقنون في نفس الوقت ربوض البقرة وبعض حركاتها وخوارها، إذ يدخل بكل جسمه في كيس كبير معد لهذا الغرض ليحسد به وبجسمه جذع البقرة، بعد إثبات مجسم رأسها بإحكام على رأسه، فيتكون من ذلك الشكل المطلوب لما يسمى بقررة ثمعشار أو "٥٥٨٨٥٥+ ٥٥٨٨٥٥".

هـ- الضبع ٤٣٤٥

هو أبسط مجسمات "٤٣٤٥" سواء من حيث مكوناته أو من حيث تقنيات التأليف بينها، إذ لا تتعدى قناعا بالملامح التي يفترض أنها لـ ٤٣٤٥ كما هو في المتخيل الشعبي المحلي، بأذنين بارزتين وعينين يقظتين، وأنياب متأهبة للافتراس. يختار لحمله شخص خفيف الحركة سريعها، يجيد العدو والوثب ومختلف حركات الضبع عندما يهاجم طريدته، وهي ذات الحركات البسيطة التي يقتضيها أداء الدور المنوط بالضبع خلال مرحلة العروض، لذا فإن إعداد هذا المجسم وكذا اختيار لابسه وتدريبه لا يتطلب الكثير من المجهود في هذه المرحلة.

و- مركب بحري :

يدعى «البابور» أو "٤٣٤٥" وهو من أقدم المجسمات وأكثرها شهرة، وهو أيضا أكبرها حجما وأكثرها تكلفة، لذلك يحرص المنظمون أسابيع قبل عاشوراء، على تفقد ما كان مستعملا منه في دورات سابقة، لترميم ما تلاشى أو فسد منه، أو تفويض أمر بناء مركب جديد لبعض الصناع التقليديين من قدماء "٤٣٤٥"، أو لغير هؤلاء بإشراف من له منهم خبرة بالأدوار التي أريد له أن يؤديها خلال العروض. إذ بالعلاقة مع هذه الأدوار تتحدد نوعية مكونات البابور، وتقنيات التأليف بينها، وآليات تحريكه، وكذا مختلف توابعه ولواحقه. وهي تقنيات وآليات تبرز، هنا أيضا، مهارات هؤلاء، ليس في إدراك العلاقات بين تلك المكونات فحسب، ولكن في إبداع علاقات جديدة فيما بينها وفق مقتضيات تلك الأدوار.

وقد لا نحتاج للإطالة بالحديث عن تقنيات إعداد وتشغيل هذا المجسم بغاية إبراز تلك المهارات، فقد تحدثنا عنها سابقا من خلال مجسمات أخرى ولو أنها هنا أرقى وأكثر وضوحا. فنكتفي بالإشارة إلى أن البابور من المجسمات التي لم تختف في مهرجانات "٤٣٤٥" إلا مؤخرا إذ ظل يذرع دروب المدينة وساحاتها، بدل أن يمخر عباب البحر إلى ما بعد سنة 2000 أو 2001 حسب شهادات من التقينا بهم من نشطاء "٤٣٤٥"، ومن فعاليات جمعية محلية مهتمة.

تطور طاقم المجسمات:

نستطيع أن نتحدث بقدر من اليقين عن التطورات أو التراجعات التي طالت مجسمات "٤٣٤٥" خلال خمسة عقود عايشنا طيلتها هذه المجسمات بما أثارته من مشاعر تحولت من تهويل في قدراتها أثناء الطفولة، إلى الاستمتاع بعد ذلك بأدائها الحركية منها والكلامية، وذلك كلما كان الحضور لمهرجان "٤٣٤٥" متاحا، وكلما سمحت مختلف المتغيرات لهؤلاء لإحياء هذه المهرجانات بكامل طواقمهم المختلفة. فقد اختفت منذ عدة سنوات مجسمات كان ارتباطها أكثر قوة بما يشكل أبرز خصوصيات "٤٣٤٥"، وهي القائمة على أداءات فرجوية متنوعة، بما تقتزن به من إخلال بمقتضيات الأخلاق العامة لكن على سبيل الهزل الذي لا يلحق

الأذى بأحد . ومن المرجح أن يكون هذا الاختفاء من تداعيات المنع الذي طال مهرجان "٤٤٨٤٥٠" للعديد من السنوات .



« من المجسمات المستحدثة »

وهكذا اختفت مجسمات الحمار والبغل والضيع والبقرة، واختفى معها رصيدها الفرجوي القائم على تشخيصات لأعمال المزارعين التقليدية، وتقديمها في إطار العروض التمثيلية بما تقتضيه من تقليد لليهود، وتسمح به من قول مباح وغير مباح، تلميحا وتصريحا . كما اختفى مجسم البابور لأسباب قيل أنها مالية وتقنية . وإذا كان الأحياء من قدماء "٤٤٨٤٥٠" مازالوا يتذكرون هذه المجسمات، ويحتفظون بذكريات من إسهاماتهم بها في العديد من الدورات، فإن اللقاءات التي أجريناها مع فعاليات من الجيل الحالي لـ "٤٤٨٤٥٠"، أبانت عن جهل، يكاد يكون تاما، بهذه المجسمات، وأن هؤلاء لا يعرفون عنها إلا ما تواتر من طرائف بعض من كانوا يشتغلون بها .

أما المجسمات التي تروج حاليا في عروض "٤٤٨٤٥٠" فهي مجسم الجمل وحيد الذروة المألوف محليا، ومعه مجسم ذي الذروتين المستحدث مؤخرا، وفي الدورات الثلاث الأخيرة لاحظنا مجسمات جديدة لحيوانات غير معروفة محليا كالحمار الوحشي، والزرافة، والديناصور، وسمعنا أثناء الإعداد للدورة الأخيرة عن مجسم للفيل قيد الإنجاز . لكن مبتدعيه لم يتمكنوا من إتمامه، فأجلوه ربما للدورة القادمة . وإذا كانت كل الحيوانات التي أثارت فضول "٤٤٨٤٥٠"، في هذا الصدد مألوفة محليا، وحاملة لدلالات ثقافية محلية معينة، أهلتها لأن تكون ضمن عناصر عدة الاحتفالات لدى "٤٤٨٤٥٠"، فإن استحداث مجسمات الحمار الوحشي والديناصور والزرافة، وهي حيوانات غريبة عن المنطقة وعن ثقافتها يبدو نشازا ويفتقد إلى تبرير .

هل يخضع اختيار الحيوان أو الشيء موضوع هذا المجسم أو ذاك لمعايير معينة؟ وما هي هذه المعايير؟

بالنظر إلى أن قوام حفلات "XHCoo" هو أساسا النزوع إلى اللهو والترفيه من خلال كل الأشكال الفرجوية الممكنة، فإن هذا المطلب هو الذي يملئ مقتضياته على "XHCoo"، ووفق هذا المطلب تتم الاستعانة بكل ما يمكن أن يساهم في تحقيقه من أدوات وآليات مادية كانت أو حيوانية أو بشرية. لذا فالدفوف والطبول وكل المجسمات وفعاليات كل الطواقم هي أدوات مسخرة لخلق الفرجة والإمتاع. ومن ثم فمعيار اعتماد هذه الأداة أو تلك، في هذا الطاقم أو ذاك، هو مقدار ما يمكن أن تساهم به في خلق الفرجة المأمولة. وهو ذات المعيار الذي خضع له اختيار هذه المجسمات، فبعضها يساهم في إنتاجها بشكله ومظهره المثير كالبابور والحمار الوحشي والزرافة والديناصور، وبعضها الآخر بحركاته وما اقترن بها من فحش الكلام كمجسم الجمل والضبع، فيما يخلقها مجسم الحمار المحلي والبغل بالشكل والمظهر والحركات وفحش الكلام وغيرها في آن واحد. وهذا يعني أن اختفاء الأشكال الكلاسيكية من هذه المجسمات هو حتما اختفاء لرصيد فرجوي هائل من تراث "XHCoo".

3 - الطاقم المتجول:

داخل التصنيف الذي اقترحناه لمختلف فعاليات "XHCoo"، بناء على ما يميز أنشطة كل منها داخل المجموعة، اقترحنا أيضا نعت هذا الصنف بالطاقم المتجول، وذلك بالنظر إلى التنقل الذي لا يتوقف لفعالياته عبر جنبات ميدان الحفل، متى وحيثما بدا لها ذلك، ودون أي ارتباط في عملها لا بالطاقم الموسيقي، ولا بالمجسمات، فهي قد تشرع في أداء عروضها بمجرد خروجها من الحوش، وعبر الدروب والأرقة المؤدية إلى مكان الحفل، وتواصل أداءها داخل ال (X%Q) موازاة للعروض الموسيقية الراقصة، وربما بعدها أيضا خارج ال (X%Q). ويعزى ذلك إلى ما أنيط بها من مهام إضافية، فهي من الموارد المالية لـ "XHCoo"، ومحل ثقة المؤطرين، إذ يسمح لها، ومعها حاملو المجسمات، بالعمل على جمع مبالغ مالية من الجمهور لقاء ما تؤديه من أدوار، ولقاء ما تؤديه أيضا باقي الفعاليات.

غير أن فعاليات هذا الصنف كثيرة ومتنوعة، ويتعين لذلك التمييز فيها بين فعاليات قارة هي من المكونات الأساسية لـ "XHCoo" كالحزان، و "XHCoo" و "XHCoo"، وبين فعاليات ثانوية قد تحضر في عروض بعض الدورات وقد تغيب عنها، وهي مستحدثة في معظمها، وما زالت تتناسل على مر الدورات، وذلك بحكم مرونة النظام الداخلي لهيئة "XHCoo"، وانفتاحه المستمر أمام ما يبدهه أفرادها من أدوات احتفالية جديدة بغاية تنويع آلياتها، وتطوير الكلاسيكية منها، طالما التزمت هذه الإبداعات بالمواصفات التي تعطي لحفلات "XHCoo" خصوصياتها.

ويحرص المؤطرون في مرحلة الإعداد على فحص ما استجد من هذه الفعاليات بغاية التأكد من إمكانياتها الفرجوية، ومدى التزامها بهذه المواصفات، فيما لا تحتاج الفعاليات القارة، وكذا التي شاركت في دورات سابقة إلى كبير إعداد. هذا وتحتصر الفعاليات القارة في ثلاث شخصيات هي: الحزان، و"٥٤٤٤٤٤"، و"٤٤٤٤٤٤".

أ- الحزان:



من تشخيصات الحزان

هو كبير جماعة "٤٤٤٤٤٤" وإمامها ومرشدها الروحي، مثلما هو في متخيل ساكنة المنطقة، كبير اليهود وإمامهم، ومرجعيتهم الدينية، بصرف النظر عما إذا كان كذلك في سلم المراتب الدينية اليهودية أم لا. ولفظة الحزان مستعارة، كما هو واضح من قاموس المصطلحات الدينية لليهود المغاربة حيث تعني إمام البيعة وخادمها⁽³⁾. أما لدى "٤٤٤٤٤٤"، فإن معناها يتحدد من خلال المهام التي أسندوها للحزان داخل المجموعة، فهو الإمام والمفتي والمرجع الديني، لكن على طريقة "٤٤٤٤٤٤" الخاصة، ومن خلال أدوات وأشياء يتقلدها لترمز إلى هذه المكانة، منها سبحة طويلة من أصداف الحلزون ذي الحجم الكبير تتدلى من عنقه إلى مستوى ركبتيه وحباتها بين أصابعه في

حركات الحمدلة والتسبيح، وكذا نظارات بالية من أي نوع كان، بالإضافة إلى القناع الذي تتم ملامحه ولحيته الكثة والطويلة عن المجهود الذي بذل في التأليف بين عناصره حتى يماثل وجه الحزان كما هو في متخيل الجماعة.

يختار من يقوم بدور الحزان من بين الأفراد الأكبر سنا ممن يؤهله لذلك تدرجه في العمل داخل طواقم "٤٤٤٤٤٤"، واكتسب خلالها دراية بوظيفة الحزان من منظور هؤلاء، وبأساليبه في أدائها إضافة إلى ما تقتضيه ممارسة هذه الأساليب من مؤهلات ذاتية كالجرأة، والطلاقة، والقدرة على الإقناع، ويسهر من وقع عليه الاختيار للقيام بهذا الدور على جمع المواد اللازمة لإعداد عدة الحزان وأدواته. على أن أبلغ هذه الأدوات دلالة هو كتاب ضخيم وقديم يتقلده باستمرار على أنه كتاب التوراة، أو زبور داود، وعنه يصدر، في كل ما يلقيه، بأمازيغية اليهود، من مواظ ساخرة وأدعية مثيرة تتضمن عبارات ليست دائما نظيفة. ومنه يستقي، في ما يقول،

(3) حاييم الزعفراني: يهود المغرب والأندلس، ترجمة أحمد شحلان، ج II ص. 339.

كل ما ينطق به من تنبؤات، وما يوزعه من وصفات علاجية على من يطلبها من النساء بشكل خاص، تشتمل على أدوية بأسماء غريبة، قد لا يكون لها مقابل موضوعي أو ترمز إلى ما ليس الجهر به مباحا كالأعضاء التناسلية للرجال والنساء والحيوان، وما يرتبط بها من لواحق أو عمليات. ويشير الحزان بمثل هذه الوصفات على النساء، وبشكل خاص على الراغبات منهن في الإنجاب، أو اللواتي يشكين من أمراض معينة، يرى الحزان أن علاجهن رهين باتباع مثل هذه الوصفات، على أن لجميع الحالات الممكنة وصفات جاهزة عند الحزان، إذ أن الحزان الماهر هو الذي يتقن ابتكار ما لا حصر له من أدوية ومواعظ ووصفات علاجية من هذا النوع، ويتلقى مقابل ذلك مبالغ مالية. ولديه إجابات وتعليقات آنية يتحدد مضمونها بالعلاقة مع مقدار هذا المبلغ أو ذاك، وتكون ساخرة ولاذعة تجاه من تجرأ فامتنع عن الأداء. هذا، وتفرض هذه المهام، وكذا المواصفات اللازمة لأدائها على المؤطرين إخضاع المرشحين لأدائها لتدريب إعدادية في الحوش ومواصلتها، وتتبع حصيلتها الميدانية أثناء العروض.

ب- تاويا "تاهلاه"

الكلمة أمازيغية، وتعني: الأمة، وهي من المكونات الأساسية لـ "تاهلاه". والأمة في التقليد المحلي دائما سوداء، ولأن الإمام في هذا التقليد المحافظ هن اللواتي كن يتولين تدبير شؤون النساء المحتجبات غالبا، ويتوسطن بينهن وبين تجار المواد ذات الصلة بما هن في أمس الحاجة إليه كالحلي والألبسة ومواد الزينة، وأدوية بعض الأمراض الشائعة. فإن مهام "تاهلاه" خلال عروض "تاهلاه" هي امتداد لهذه المهام التقليدية للأمة، لكن بطريقة "تاهلاه" الخاصة. وتتحدد هذه المهام في التجول بين المتفرجات من النساء لعرض مثل هذه البضائع، ومعها أشياء أخرى ذات دلالات رمزية أو صريحة تتجاوز هذه المواد، وفي كل ذلك يظل أسلوب "تاهلاه" القائم على بذىء العبارات والألفاظ هو الطاغى في كل الحوارات بين "تاهلاه" وزبوناتهن من النساء والفتيات، خلال تقديمها لهذه البضائع، وعند إبراز فوائدها المزعومة، أو وجوه استعمالها وكذا عند المساومة على أثمانها.

ولأن العنصر النسوي لا يسمح له أبدا بالمشاركة في "تاهلاه"، فإن دور "تاهلاه" يسند إلى من له مؤهلات لأدائه من الشبان، ويعمد من وقع عليه الاختيار إلى إعداد نفسه لتقمص شخصية "تاهلاه" بالتدريب على تقليد صوتها، ولكنتها، وأساليبها في المتاجرة، بالإضافة إلى إعداد اللباس الذي هو نفسه لباس نساء المنطقة، وأدوات التكر، وضمونها مواد لتسويد الوجه والأطراف، ومحتويات البضاعة، وهي مواد وأشياء لا تخرج في دلالاتها الرمزية والصريحة عن ذات الأسلوب الذي يقتزن بخطاب "تاهلاه"، وذلك كقضيبي الرجل المصنوع بعناية فائقة من الخشب أو الجبس وما إليهما، وبعض الحلل المصنوعة من مواد لا قيمة لها كفلاند من صدف



من تشخيصات : تاوايا "٥٥٥٥٥٥٥٥"

الحلزون، وخواتم وأسورة من القصدير أو من غيره بالإضافة إلى "أحمد أوكتوبر" وملابسه ولوازمه وأشياء أخرى هي في حد ذاتها لا معنى لها إلا ما تعطيه لها "٥٥٥٥٥٥٥٥"، أو تحيل عليه مما له علاقة بهذا الخطاب، من خلال تقديمها لها كوصفات للعقيمات أو للعوانس، أو للراغبة في التحكم في زوجها، أو في تضخيم قضيبه، أو تضيق فرجها، بالإضافة إلى تعمد تحوير أسمائها أو تحوير النطق بها لإعطائها حمولات جنسية صريحة أو رمزية تمتع النساء، وتثير انشراحهن، وقد يعتقد البعض منهن في صحة الشروحات التي تقدمها "٥٥٥٥٥٥٥٥" في هذا الصدد.

ج- اشميحة ٥٥٥٥٥٥٥٥

تنطق هكذا بالشين الساكنة، وهي زوجة الحزان والشخصية النسائية الثانية بعد "٥٥٥٥٥٥٥٥" في هيئة "٥٥٥٥٥٥٥٥"، والوحيدة التي تمثل دور امرأة يهودية في هذه الهيئة. إذ أن "٥٥٥٥٥٥٥٥" أمة سوداء، وليست يهودية فيما باقي فعاليات "٥٥٥٥٥٥٥٥" من اليهود الذكور، بالأسماء المتداولة محليا، مثل: موشي وحاييم، وهارون وداويد وغيرها. ويسند دورها، كدور "٥٥٥٥٥٥٥٥"، إلى من يمتلك الموصفات التي تؤهله لتقليد النساء، ونساء اليهود بشكل خاص في رخامة الصوت، ولكنة التخاطب باللغة المحلية، وفي أساليبهن في اللباس والزينة والمشي والرقص والغناء وغير ذلك من السلوكات التي يفترض في متخيل "٥٥٥٥٥٥٥٥" أنها خاصة بنساء أعيان اليهود اللائي تجسد اشميحة، بوصفها حرم الحزان نموذجا تمثيليا لهن.



من تشخيصات اشميحة

وخلال أيام ما قبل موعد الحفل يأخذ المرشحون لأداء هذا الدور في إعداد ما يتطلبه أدائه من مواد وأدوات، ويتعلق الأمر بانتقاء مواد معينة لإعداد الأقنعة، وأخرى، وهي في الغالب صدفات الحلزون بأحجامها المختلفة، لصنع بعض أدوات الزينة، كالقلائد والأسورة والأقراط، وكذا إعداد الزي المفروض أنه لمعظم يهوديات المدينة، ويتكون عادة من قميص طويل مزركش على أنه قفطان، ومن حزام كيفما كان، ومنديل معروف محليا لغطاء الرأس لدى اليهوديات، إضافة إلى جمع نماذج مما تواتر في ذاكرة "EHCeO" من أقوال وإنجازات من أدى قبلا دور اشميحة بغاية العمل في ضوءها على إعداد ما يمكن إعداده منها. وينخرط هؤلاء في العروض التجريبية داخل الحوش للتدريب

على التعامل مع ما أعدوه منها في تشخيص المهام الأساسية لشميحة، وهي مهام تتمحور بشكل عام على وظيفتها من حيث هي زوجة الحزان، وقد تتقاطع في كثير منها مع مهام "HecO". هذا ولا نحتاج إلى إعادة القول بأن ما تواتر من هذه الأقوال والإنجازات وما سيقال أو ينجز لاحقا على منوالها، لا يخرج شكلا ومضمونا عما تواتر من خصوصيات خطاب "EHCeO".

إلى جانب هذه الشخصيات الثلاث: الحزان "HecO" و "EHCeO"، وهي قارة وأساسية في الطاقم المتجول وفي هيئة "EHCeO" ككل. هناك فعاليات متجولة أخرى تستحدث من دورة إلى أخرى في إطار نزوع الأجيال الجديدة إلى تطوير أدائها بإضافة الجديد من تقنيات إنتاج الفرجة إلى التقنيات التقليدية، وهي فعاليات متعددة قوامها أفراد يختارون تشخيص بعض الحرف أو بعض الممارسات الاجتماعية الشائعة، وكذا بعض العمليات التي لا معنى لها إلا ما تتيحه من حيث هي عديمة المعنى من إثارة وإمتاع للجمهور، وهي بالإضافة إلى ذلك متباينة لا رابط فيما بينها سوى أنها تنتمي إلى فرجة "EHCeO" بحكم خضوعها للمنطق أو اللا منطق الذي يحكم هذه الفرجة. وسنتوقف لاحقا عند نماذج من هذه الفعاليات، التي عليها أن تتكبد في هذه المرحلة على إعداد وتجريب مختلف المواد والأدوات، وكذا المضامين التي يقتضيها أداء الصيغ الفرجية التي تقترح الإسهام بها في عروض المهرجان.

تطور الطاقم المتجول:

بغض النظر عن باقي الفعاليات المتجولة التي قد تحضر أو تغيب في هذه الدورة أو تلك عرفت شخصيات الحزان و"٥٥٥٥٥٥" وشميعة، بما هي فعاليات قارة وأساسية في هذا الطاقم تغيرات هامة طالت شكل أداء أدوارها، ومحتويات هذه الأدوار على السواء.

ويتعلق الأمر، فيما يخص شكل الأداء، بعدد الأفراد الذين يؤدون دور كل من هذه الشخصيات داخل نفس العرض، إذ أن الذي كان يشخص كلا منها هو فرد واحد داخل العرض، فتشتمل بذلك تشكيلة المجموعة على مؤد واحد لأدوار كل من هذه الشخصيات، أي على حزان واحد، و "٥٥٥٥٥٥" واحدة و "٥٥٥٥٥٥" واحدة. غير أن الباب صار بعد ذلك مشرعا لأكثر من فرد واحد في أداء كل من هذه الأدوار، وذلك إما بتوزيع المهام المرتبطة بكل شخصية، أو بتكرار نفس الشخصية من طرف عدة مؤدين. فصرنا نرى في ال (X:Q) الواحد عدة حزانات، وأكثر من "٥٥٥٥٥٥" وعدة اشميحات. ويبدو أن المؤطرين لا يمانعون في ذلك، أو أن لا أحد يمكن له أن يحول دون هذا التعدد شريطة الالتزام بقواعد اللعبة ومعاييرها. هل كان لابد من هذا التعدد؟ وهل يتأتى معه الحفاظ على خصوصيات الفرجة كما لو كان المؤدي فردا واحدا؟

أما من حيث محتويات هذه الأدوار فقد كان من المنطقي أن تختفي منها كل التشخيصات التي لم يعد لها حضور في الممارسة الاجتماعية الواقعية، كعمليات الحرث والحصاد والدراس التقليدية وما إليها على سبيل المثال، وأن تحل محلها تشخيصات أخرى لعمليات وممارسات اجتماعية راهنة، فيما تراجعت الصبغة اليهودية التي يقتضيها أداء هذه الأدوار في تشخيصات هؤلاء لهذه الممارسات.

II - الأزياء والأقنعة:

يتجسد التكر، بوصفه مبدأ أساسيا في طقوس "٥٥٥٥٥٥"، من خلال أزياء وأقنعة، وأدوات أخرى عديدة تشكل إلى جانب المجسمات، آليات أساسية لخلق الفرجة وتنويع صيغها، وتأمين خصوصياتها في ذات الوقت. ويبدأ إعداد هذه الآليات بتزامن مع إعداد المجسمات، وتفقد مختلف أدوات وآليات هذا الطاقم أو ذاك. ولأن كل مشارك معني بالتكر، وفي غياب طاقم أو جهاز خاص بالأزياء والأقنعة داخل هيئة "٥٥٥٥٥٥"، فإن مهمة جمع موادها وعناصرها والتأليف بينها منوطة بكل مشارك، دونما إشراف مباشر من طاقم التأطير. وتتحدد نوعية هذه المواد والعناصر، وكذا أشكال التأليف بينها بالعلاقة مع خصائص ومواصفات ما يراد تشخيصه أو التشبه به من خلال فعل التكر ذاك. ويتعلق الأمر بمبدأ أساسي ثان في طقوس "٥٥٥٥٥٥"، هو مبدأ التشبه باليهود وبيهود المنطقة على وجه التحديد، في لباسهم وسحناتهم ولهجتهم، وفي حياتهم بشكل عام. ذلك لأنه بهذين المبدئين يتأتى تحقق المبدأ الأساسي الثالث في هذه

الطقوس وهو ممارسة خطاب "EHCeO" القائم على تحطيم المقدس في كل مظهراته. في ضوء هذه المبادئ، وبمقتضاها تهدي الفعاليات العاملة داخل طواقم "EHCeO" إلى إعداد أزيائها وصنع أقنعتها، وما يقتزن بها مما يحمل في اليدين أو على الرؤوس، أو يعلق في الأعناق وعلى الصدور، أو يثبت في مكان ما أو عدة أمكنة على ملابس اللاعب أو على جسده، بمعنى أن إعداد هذه الآليات لا يخضع لسابق تخطيط من لذن مؤطر أو مخرج مسؤول، أو هيئة موجهة تحدد النماذج المطلوبة، وتعين التقنيات اللازمة لإنجازها، بل يغلب الارتجال والطابع الفردي على هذا الإعداد، إذ ينكب كل فرد داخل الحوش على التأليف بين المواد البسيطة التي جمعها لإعداد زيه، وصنع قناعه بمجهوده الشخصي، وبناء على تصويره الشخصي أيضا لما ينبغي أن يكون عليه لباس "EHCeO" وقناعه، وفق المواصفات المستمدة أساسا من الذاكرة الجماعية المحلية. ومع ذلك تتمايز الأزياء والأقنعة، ولا يكرر بعضها بعضا ولا تتشابه إلا في ما يشكل قاسمها المشترك، وهو قبحها الفظيع الذي به يتحدد انتماؤها إلى أزياء "EHCeO" وأقنعة "EHCeO".

إن معايير قبول أو رفض هذا الزي أو القناع أو ذاك في حظيرة "EHCeO" لا تتحدد إلا بالعلاقة مع ما يتيح من إمكانيات لإضفاء قدر من القبح والبشاعة على من يتزيا به من المشاركين. ويمكن التأكيد على أن وظيفة الأزياء والأقنعة لدى "EHCeO" هي تحويل المشارك إلى كائن مشوه، أي إلى يهودي كما هو في المتخيل الشعبي المحلي، الذي ساهمت عدة عوامل في بلورته، لعل من أهمها وضعية الفئات الفقيرة من يهود الملاحات المحلية، مع إضافات مهمة ومغالية تراكتت في هذا الصدد على مر السنين وعبر الأجيال، وإلا فالصورة لا تنطبق على كل يهود المنطقة في أي من فترات تواجدهم بها⁽⁴⁾.

كيف يتأتى تجسيد القبح بالأزياء والأقنعة؟ وما مداه؟ وما الذي يبرره؟

1 - الأزياء:

لا يتعلق الأمر بأزياء خاصة، تُنتقى للإحالة على دلالات معينة، أو على طبقة اجتماعية متميزة، أو على شعب معين أو حقبة تاريخية، فلدى "EHCeO" يتعلق الأمر بذات الملابس المتداولة محليا، وهي لا تعدو الجلباب والأقمصة بأنواعها والسرراويل والسلهام والأحذية ولواحقها. غير أنها لا تصبح صالحة للاستعمال كأزياء لـ "EHCeO" إلا عندما تبلى وتتسخ،

(4) في احتفالات يهود المغرب بلالة ميمونة نجد شكلا معكوسا لتشبه تتكري من اليهود بالمسلمين يقول عنه حاييم الزعفراني: "وفي الخارج، إنه المهرجان، الاحتفال الكبير جماعات جماعات من الشبان، تقطع دروب الملاح، وفساتين الفتيات المرقشة تنافس لباس الشبان التكري، يافعين وكهولا، جميعا يتنكرون في هذه المناسبة في ثياب النساء، أو يتبخرون في لباس عربي، يضعون الطربوش أو الشاشية الحمراء ويرتدون الجلباب الملون... وهكذا يبدي اليهود بشكل من الأشكال، الرغبة العميقة في التحرر الاجتماعي والسياسي بهذه العملية التكرية التي يحاولون بها التشبه عن طريق اللباس بالجار البرجوازي المسلم..." حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب. ترجمة أحمد شحلان، ج II - ص. 536.

وتصير أسمالا رثة وممزقة، بل إنهم يعمدون إلى جعلها كذلك إذا كانت مازالت سليمة أو نظيفة. فما لا يحيل المشاركين إلى مسوخ فهو ليس زيا صالحا للاستعمال لدى "EHCeO". وإمعانا في تجسيد هذا الشرط تتنافس فعاليات "EHCeO" على تشويه مظاهرها فتنكب داخل الحوش على استحداث كل ما من شأنه إبراز مظاهر القبح بخلق تشوهات إضافية من خلال الأزياء وعلى الأزياء ذاتها من قبيل:

أ- حشو الملابس بعد ارتدائها، وذلك على مستوى البطن، وعلى مستوى المؤخرة أو الكاهل بما يتيح إبراز انتفاخ كل منهما وتضخيمه، فينتفخ البطن متدليا من على الحزام الذي يدعمه، وتبرز الحدبة وكذا المؤخرة على نحو فظيع لكنه مثير وممتع إذا ما انخرط صاحبها في ممارسة الرقص، جماعيا كان أو فرديا.

ب- طلي الملابس بألوان مختلفة ومتنافرة، دونما غاية أو معنى ماعدا تشويهها وتشويه من يرتديها. وقد يثبت بعضهم على ظهره أو صدره أشياء أخرى منها شارات بعض الشركات التجارية⁽⁵⁾ وبعض الأندية المشهورة لكرة القدم المغربية⁽⁶⁾ والعالمية⁽⁷⁾ والمحلية⁽⁸⁾، وشارات غيرها قد لا تكون موجودة، وقد لا تكون لها أية دلالة.

ج- تشويه الملابس ببتير أجزاء مهمة منها، كبتير أحد كمي القميص، أو إحدى رجلي السراويل، أو تمزيق هذه الأخيرة عموديا أو أفقيا بشكل يجعل مظهر لابستها غريبا، لكنه جذاب ومثير.

د- تعتمد استعمال الأحذية وكذا الجوارب على شكل فردات متباينة الأشكال والأحجام والألوان، لا على شكل أزواج متناسبة، وهو ما يتيح للمشاركين إمكانيات لا حصر لها لخلق العديد من صيغ التشويه والتنافر من خلال عمليات للتأليف المعكوس فيما بين أشكال وألوان الأحذية والجوارب وأحجامها، وهي أصلا متنافرة وغير قابلة للتآلف.

هـ- ارتباطا بمبدأ الاستخفاف بالمعايير الأخلاقية وما إليها، يعتمد البعض تمزيق الملابس على مستوى الأعضاء المثيرة للخلج في الثقافة المحلية، وذلك بشكل يوهم بالكشف عنها، أو بانكشافها كليا أو جزئيا. وقد يعتمد البعض الآخر ارتداء ألبسة مثيرة خاصة بالنساء، بالإضافة إلى عمليات قلب الملبوس من الأزياء، واستبدال خلفه بأمامه، ووجهه بظهره، وأسفله بأعلىه.

(5) SATAS - ASTRAL - DANONE - OMO إلخ.

(6) الرجاء - الوداد - الجيش الملكي أو FAR.

(7) بارصا - ريال مدريد ...

(8) حسنية باب أكلو

إن التنوع الكبير للأشكال المتداولة على أنها أزياء لدى "EHCeO"، وتعدد إجراءات التشويه التي تمارس عليها باستمرار، لا يسعفان على الإحاطة بها من خلال إخضاعها لمثل هذه التصنيفات، وإجمالاً فالمبدأ الحاضر بقوة لدى كل المشاركين دون استثناء هو الحرص على الظهور في أقبح صورة وأبشع مظهر ممكن أثناء العروض.

2 - الأقنعة؛

تشكل الأقنعة إحدى الدعامات الأساسية في فرجة "EHCeO"، بحيث لا إمكان لقيام هذه الفرجة دون الأقنعة التي يتوارى خلفها جميع المشاركين دون استثناء. ولعل التلازم بين "EHCeO" والأقنعة هو الذي يسند اقتراح كلمة (Mascarade) كمقابل في الفرنسية لمصطلح "EHCeO"، وهو في تقديرنا اقتراح قاصر، يختزل طقس "EHCeO" كله في حمل الأقنعة، والحال أن فعل التقمع ليس إلا إجراء شكلياً لغايات هي الأساسية لدى "EHCeO". إذ أن دور الأقنعة هو إتمام تشويه ما لم تشوّه الأزياء في المظهر العام للمشارك، ويتولى كل مشارك صنع قناعه بنفسه، ونادراً ما تستعمل الأقنعة البلاستيكية الجاهزة رغم وفرتها، وسهولة الحصول عليها، ويبدو من عزوف المشاركين عنها أنها لا ترقى إلى تجسيد قبح الوجوه كما يريده هؤلاء.

ما مدى قبح الوجوه كما تجسده أقنعة "EHCeO" ؟

إن صناعة الأقنعة داخل الحوش هي أساساً سعي مستمر إلى تشويه الوجوه، كما الأزياء إجراءات لتشويه الهندام. فالمطلب هو نفسه وهو إنتاج كائنات كروتيسكية⁽⁹⁾ يتقاطع فيها ما هو حيواني وما هو آدمي مع عناصر أخرى تشد، لغرابتها، عن أي تصنيف، فمن أقنعة تجسد بأعلى درجة من التشويه وجوها بشرية، إلى أقنعة تحيل بمهارة عالية على وجوه مختلف الحيوانات كالكلاب والحمير والثعالب والخنازير والديكة والذئب وغيرها، وهي في وضعيات تبسم أو تكشير، إلى أخرى لا تحيل على شيء أو كائن معين، لكنها مسوخ بشعة، بالإضافة إلى تأليفات مثيرة ومتعددة، كإثبات أذني الحمار لوجه آدمي، وإثبات ذيل الكلب مكان اللحية، وإعادة موضوعة أعضاء الوجه بوضع الأنف مكان الفم، وهذا الأخير على الجبهة أو الذقن، وحذف إحدى العينين للاكتفاء بواحدة كبيرة على مستوى الأنف، أو وسط الجبهة، وما إلى ذلك من التأليفات الممكنة التي يبرع هؤلاء في تجسيدها.

هذا الإيغال في التجسيد الكروتيسكي عبر الأقنعة لم يكن معروفاً لدى قدماء "EHCeO"، ومن الصعب معرفة متى بدأ النزوع إليه، إذ أن غاية ما كان يراعى في القناع لدى هؤلاء هو تجسيد وجه اليهودي كما هو في الملاح، أو في متخيل الجماعة لا تشويبه، وذلك من خلال أشكال تروم

(9) مصطلح جرى استعماله للإشارة إلى النزوع إلى إضفاء التشويه والقبح على الجسد لدى التشكيليين والأدباء والمسرحيين وغيرهم. انظر مارتون فان بورن BURN : الجسد الكروتيسكي. ترجمة حسن المنيعي ضمن كتاب: الجسد في المسرح، ص. 105.

إبراز الخصائص المشتركة لنموذج متخيل لهذا الوجه، كفضاء مغطى بالشعر كله ماعدا الوجنتين والجبهة، وجانبي الأنف، بلحيته الطويلة والكثة، وبالضفيرتين الطويلتين اللتين تتدليان من الفودين على الصدغين، بالإضافة إلى العناية بإبراز بعض الملامح المميزة للمظهر العام لوجه يهودي، ربما مع مبالغات، لكنها لا تذهب في التشويه بعيدا .

هذا ولا يعرف شيوع التعامل بالأقنعة الكروتيسكية حدودا لدى شبان "EHCeO" الذين يتنافسون في تخيل وإبداع أقبح النماذج وأكثرها شذوذا، ويبدو أن النزوع إلى إبداع مثل هذه النماذج متنام باطراد لدى هؤلاء من دورة إلى أخرى .

3 - أكسيسوارات أخرى؛

هي أشياء عديدة لا حصر لتنوعها واختلافها، يحرص جميع المشاركين مهما كان الطاقم الذي يشتغلون فيه، على إعدادها، وابتكار وجوه استعمالها، منها ما يحمل في الأيدي أو على الأذرع، ومنها ما يتقلد على الكواهل، أو يثبت على الرؤوس، أو يعلق على الصدور، أو هنا وهناك على ملابس "EHCeO" أو على جسده، بالإضافة إلى ما يجر منها أو يدفع. وتتحدد وظائف هذا الحشد من الأشياء بالعلاقة مع وظائف الأزياء والأقنعة، إذ تتكامل معها بغاية إضفاء المزيد من الغرابة والتشويه على هيئة كل مشارك، وذلك من خلال خلق ضروب من التناظر فيما بين هذه الأشياء، من حيث أشكالها وأنواعها وأحجامها، وكذا من حيث مواقعها على أجسام اللاعبين، إذ لا يخضع التعامل معها إلا لمنطق واحد، هو مقدار ما تساهم به، بتضافر مع الأزياء والأقنعة في تحويل المشاركين إلى كائنات غرائبية مثيرة للنفور والإعجاب والسخرية وغيرها من المشاعر المتناقضة لدى المشاهدين .

ولإعطاء صورة عن تنوع هذه الأكسيسوارات، وعن أشكال التعامل معها في تأثيث شخوص "EHCeO"، نحاول فيما يلي عرض نماذج مما يعدونه منها داخل الحوش، وذلك من خلال تصنيفها بناء على مواقعها على هذه الشخوص .

أ- فمن بين ما يوضع منها على الرؤوس قبعات أو بالأحرى ما بلي واتسخ من "تارازات" مختلفة المشارب والأصول، من محلية إلى أطلسية، إلى جبلية ريفية، وربما مكسيكية أيضا أو أوروبية أو مجهولة الأصل والمصدر، لأنها من صنع حاملها نفسه، تؤثثها بدورها أشياء تتدلى منها على أنها أهداب، وعليها بالونات نصف منفوخة، أو ريشات الدجاج، أو البجع على طريقة الهنود الحمر، ومنها أيضا خوذات واقية من النوع الذي يحمله عمال الأوراش، بالإضافة إلى كوفيات شرقية وعمائم محلية أو صحراوية بالية تلف كيفما اتفق على الرؤوس والأعناق. وقد تثبت عليها أشياء أخرى غريبة لا صلة لها بها، أو على شكل أذنين أو قرنين لبعض الحيوانات، إلى غير ذلك مما يمكن أن نستغني عن إطالة الحديث عنه .

ب- ومن بين ما يعلق منها على الصدور أو الأحزمة سباحات ذات الحبات العادية أو من صدفات الحلزون الكبير أو الصغير، أو من الحبات البلاستيكية أو الخشبية التي تستعمل كسند في مقاعد السيارات. ومنها سلال من القصب أو البلاستيك أو قُفَّات بها أشياء مختلفة، إلى جانب بعض اللعب الخاصة بالأطفال وأدوات أخرى كمقص جز الصوف، والمنجل، وأحزمة حبال، وفردة حذاء كيفما كانت، وزجاجة إرضاع الأطفال، وشارات بعض الفرق الرياضية وكرات من أحجام وألوان مختلفة إلى غير ذلك من أشياء لا تربطها أي صلة فيما بينها خارج توظيفات "٤٢٢٢٢٢٢٢" لها.

ج - أما ما يؤثت ظهور اللاعبين من أكسيسوارات فمنها حقائب ذات أحجام واستعمالات مختلفة نسائية ومدرسية ورياضية، فارغة أو محشوة بأشياء مجهولة، ومنها قرب جلدية بالية، ودمى الأطفال، واللال المستعملة للنحل، و "٢٠%٢٠" ونماذج من اليقطين السلوي اليابس الذي أفرغ جوفه لأغراض فلاحية محلية، بالإضافة إلى رسوم وشارات ذات صبغة رياضية أو تجارية محلية أو عالمية، الخ.

د - ومن الأشياء التي تحمل في الأيدي، أو على الأذرع بعض من الأشياء الآنف الذكر ذاتها، كاليقطين السلوي، والسباحات، واللال، ولعب أطفال مختلفة، إضافة إلى عكاكيز معقوفة أو غير معقوفة، وعليها شارات ورسوم شبيهة بالشارات الطوطمية، وأشياء أخرى كبقايا مظلة، أو مبخرة، وهيك ملذباع، وبعض الأدوات المستعملة محليا في مجالات الفلاحة والرعي وتربية النحل مما لا ضرورة لاستعراضها واحدة واحدة. ويبدو هذا الحشد من الأكسيسوارات في أركان الحوش أو في غرفه كأنها أكوام من سقط المتاع الذي يجدر التخلص منه بقذفه في النفايات.

هذا، ولا تستقر هذه الأكسيسوارات في موقع واحد، فقد تتبدل أماكنها من مشارك إلى آخر، فما هو محمول منها على الرؤوس قد يصير محمولا على الظهر أو العكس، كما قد يعلق المحمول منها في الأيدي على الصدور أو الكواهل أو العكس، وهكذا فلا منطق لتوزيع الأكسيسوارات إلا منطق التناظر، وتحري الأشكال والوضعيات الأكثر إثارة للاستغراب أو للإعجاب.

فما الذي يبرر كل هذا الحرص على تشويه الشخص لذي "٤٢٢٢٢٢٢٢" ؟ ولم الإصرار على إضفاء كل ما هو متاح من ضروب القبح عليها؟

نجد لهذا السؤال إجابة تقليدية جاهزة تتبني على مبدأ أن التشوه شرط ضروري لقيام فرجة "٤٢٢٢٢٢٢٢"، وأنه من المكونات الأساسية في بنية هذه الفرجة، وبدونه تفقد ما هو من صميم خصوصياتها. ويستمد قدماء "٤٢٢٢٢٢٢٢"، وكذا المؤطرون عناصر هذه الإجابة من الترابط الوظيفي بين التكر والتشوه في طقوس "٤٢٢٢٢٢٢٢"، من حيث أن التكر في بعده التشويهي إجراء

يقترن بمطلبين أساسيين هما مطلب التشبه باليهود من جهة، ومطلب خرق المعايير والضوابط الأخلاقية السائدة من جهة أخرى. غير أن هذين المطلبين لا يستوعبان حجم التشوه الذي يطال الشخصوس التي يشتغل من خلالها هؤلاء، وقد لا يقتضيانه، فإجراءات تنكيرية محدودة، بالأزياء والأقنعة كافية لتشخيص مظهر أكثر يهود المنطقة فقرا، وكافية أيضا لإخفاء هوية كل مشارك حتى يتأتى له التعامل بالأخضر واليابس من خطاب "EHCeO"، بمعنى أن الإفراط في تشويه الشخصوس واستعمال ما بلي واتسخ من مرافق وأدوات، لدى الأجيال الراهنة لإيمعشار لا يتحدد بهذين المطلبين فحسب بقدر ما أضحى يتحدد أيضا بنزوعات كرنفالية لدى هؤلاء تروم إبداع شخصوس، وخلق مشاهد تستقطب الجمهور وترغمه على المشاهدة وإبداء الإعجاب.

إن عمليات التشويه لدى "EHCeO" هي إبداعات فنية تتغيا نشر الفرجة وإمتاع المتلقي، هي إبداعات مشوهة، لكنها مع ذلك ذات دلالات ومضامين تعمل على إيصالها لمن يهيمه أمرها، وهي لا تختلف من هذا المنظور عن أعمال فنية وأدبية تجسد جمال القبيح، وتبرز في التشوه، ومن خلاله، مظاهر جمالية لا تخطئها العين اليقظة، وفي ذات السياق فإن ما ينعت من أزياء وأقنعة ومجسمات وغيرها لدى "EHCeO" بأنه جميل أو مقبول أو ملائم "HHRZ" ليس بالضبط ما هو جميل خارج هذا السياق، بل ما هو قبيح أو مشوه.

ثانياً: مرحلة العروض

بحلول التاسع من محرم من كل سنة، تكون طواقم "٤CHC=O" على أهبة الاستعداد، ويقترّب العد العكسي لانطلاق فعاليات المهرجان من نهايته، فتغادر الطواقم مقر الحوش، فتتجه بكامل عدتها وعتادها، المادي والبشري، إلى مكان الحفل، حيث تجري طقوس أخرى، هي الخاصة بإحراق "HCHC=O+"، وينخرط الجميع في هذه الطقوس إلى أن تنتهي، إذ بانتهائها ينتهي العد العكسي لانطلاق المهرجان. وعلى بقايا نيرانها تسخن الدفوف والطبول التي تنطلق عروض اليوم الأول منه على إيقاعاتها. فعلى هذا النحو كانت تمارس معظم طقوس عاشوراء: بداية بعضها مرتبط بنهاية البعض، وانتهاء طقوس يفضي إلى انطلاق أخرى.

غير أن عدم الانتظام الذي أصبحت تعرفه ممارسة طقوس “+OCHC+” حرر طقوس “OCHC+” من الارتباط بها، وصار انطلاق العروض الأولى من هذه الأخيرة رهينا بحلول موعدها السنوي، أي بعشية التاسع من محرم بعد صلاة العشاء، فتتظم مختلف الفعاليات داخل طواقمها في ميدان الحفل بأزيائها وأقنعتها ومختلف أدواتها في انتظار إشارة الانطلاق. أو تتظم انطلاقا من الحوش ذاته في موكب حافل يقطع الدروب والأزقة المؤدية إلى ميدان الحفل، على إيقاعات موسيقية متنوعة تعلن بها عن نفسها وعن وجهتها للجمهور الذي يترقيها.

وقد جرى التقليد على أن تشترك في إحياء حفل اليوم الأول فعاليات من جميع فرق "ᄒᆞᆫ ᄇᆡᆯᆡᆫᆺ" المتواجدة بالمدينة، وحالياً من مجموعات عيد ضلحا "ᄋᆞᆫᄃᆡᆮᆸᆺ"، وأيت امحمد "ᄌᆞᆫ ᄇᆡᆯᆡᆫᆺ"، وعيد أكفا "ᄉᆞᆫ ᄃᆡᆫᆺ"، وذلك قبل أن تتوزع في الأيام الموالية على أحياء المدينة وساحاتها بتسيق تام فيما بينها، وغالباً ما تكون عروض اليوم الأخير مشتركة أيضاً، ومع ذلك فإن فقرات العروض ومحتوياتها وتمفصلاتها تبقى هي هي سواء كانت من أداء مشترك أو من أداء هذه المجموعة أو تلك. إذ يشتمل منها كل حفل على عروض موسيقية راقصة، وعلى عروض تمثيلية هزلية، إلى جانب عروض أخرى موازية تشتمل على العديد من الأنشطة المختلفة والمتنوعة، فتتوالى بذلك عروض الحفل على الشكل التالي :

I - العروض الموسيقية الراقصة :



التسخينات المؤذنة ببداية العروض

كما هو شأن ملابسات البداية في كل حفلات "AΛΛεC" المحلية، جرت العادة على أن تكون النار التي توقد لتسخين الدفوف والطبول بمثابة إيدان ببداية الحفل، فتبدأ حركات تسخينها، وتأخذ النقرات التجريبية عليها تسمع نفسها، ومعها النغمات التجريبية لباقي الأدوات كالنايات والناقوس، وهي مؤشرات يستجيب لنداءاتها من لم يحضر بعد من الجمهور الذي يفهم دلالاتها على انطلاق وشيك للفرجة، فيتقاطر على الميدان أفرادا وجماعات، ويأخذ "X%Q" (10) "X%Q" في التشكل تلقائيا، وتنشط الحركات الاستعدادية للاعبين حاملي الأعمدة الخشبية، فترتفع الأصوات ولغط الجمهور الذي يتزايد باطراد. وترتفع وتيرة النغمات التجريبية التي لا تلبث أن تنتظم وتتناسق في لحظة فاصلة لتؤلف إيقاعا افتتاحيا يضع للتو حدا للغط الجمهور، ويحمل الجميع على الصمت والإنصات، معلنا بذلك انطلاق عروض المهرجان.

ويتعلق الأمر بانطلاق العروض الموسيقية الراقصة التي هي قوام هذا المهرجان، إذ لا تتوقف خلاله إلا لتستأنف من جديد، أو لتفسح المجال للمشاهد التمثيلية التي تفتتح بدورها، وتختتم بمقاطع موسيقية، كما قد تتخلل بعضها، وهي من أداء فعاليات الطاقم الموسيقي الذي هو أكثر طواقم "X%Q" عددا وعدة. ويمكن التمييز في هذه العروض، بناء على وظائفها ومواقعها في الحفل، بين عروض تمهيدية وعروض رئيسية، وأخرى تتخلل الحفل كفواصل، أو وصلات للربط بين فقراته الرئيسية.

(10) الكُور هو الفضاء الذي يتحرك فيه اللاعبون، وتؤدي فيه العروض داخل ميدان الحفل، مقابل الفضاءات التي يشغلها المتفرجون بما فيها الخاصة بالرجال، والخاصة بالنساء.

1 - عروض تمهيدية: +o8LloC+



مقدمة الطاقم الموسيقي

هي أداء افتتاحي يقدم في بداية كل حفل تمهيدا للعرض الرئيسي، يهدف من خلاله العازفون إلى الاستئناس بأدواتهم، وضبط نغماتها، واختبار مهاراتهم في إحكام التآلف والانسجام بينها، سواء عند أول لقاء مع الجمهور أو عند كل افتتاح للحفل في الأيام الموالية، لذلك تتنوع الإيقاعات التي تعزف في هذه المقاطع، إذ تستعار من عدة حقول الموسيقى الأمازيغية، ولا يشارك في العروض التمهيدية إلا العازفون وبعض الراقصين من مختلف الطواقم فيما تنتظر فعاليات هذا الطاقم، من حاملي الأعمدة الخشبية بداية العرض الرئيسي، وهو انتظار لا يطول كثيرا، إذ لا تلبث أنغام الإيقاعات أن تتبدل إيدانا ببداية الإيقاع الخاص بالعرض الموسيقي الرئيسي، فيسرع كل من هؤلاء إلى تقلد عموده الخشبي للانخراط في الحلقة الآخذة في التكون من أفراد الطاقم.

وتهدف العروض التمهيدية أيضا، في ما يؤكد بعض قدماء "ⵝⵏⵏⵓⵔ" إلى ضمان استقطاب أكبر عدد من المشاهدين لفقرات العرض الرئيسي، وذلك بتأخير هذا الأخير لعشر أو عشرين أو حتى ثلاثين دقيقة، حتى يلتحق من لم يلتحق بعد بمكان الحفل، ذلك لأن الفرجة المتوخاة من أي حفل لا تتأتى إلا بالمتفرج، ومع المتفرجين، وكلما كان الجمهور عريضا كلما كانت الفرجة أكثر امتلاء وامتعا.

ولأن إيقاعات هذه العروض مستعارة من بعض حفلات "ⵝⵏⵏⵓⵔ" المحلية فقد اصطالحوا على تسميتها +o8LloC+ أو "ⵝⵏⵏⵓⵔ"، وهو ذات المصطلح الذي يطلقونه أيضا على المقاطع التي تعزف في فترات استراحة ذوي الأعمدة الخشبية أو كفواصل موسيقية بين فقرة وأخرى من العرض الرئيسي. غير أن وظيفة هذه الإيقاعات لا تنحصر بالنظر إلى خفتها وجودة أدائها، عند اختبار مدى تناغم أدوات العزف، أو عند تمتيع هؤلاء بقسط من الراحة، بل تمتد إلى الإطراب

وإثارة الشهية في تشغيل الجسد في الرقص، فيهب كل من هزته نغماتها من أفراد كل الطواقم، بما فيها حاملو المجسمات إلى الانخراط في رقصات شعبية محلية، فردية أو جماعية، غير أنها رقصات لا صلة لها برقص "XO" ، كما لا صلة للإيقاعات التي تثيرها بإيقاع "XO" الذي لم يبتدئ بعد .

2 - العروض الرئيسية : XO

هي عروض لا عرض واحد، إذ فيما لا يؤدي من العروض التمهيدية إلا عرض واحد في بداية كل حفل، تؤدي من العروض الرئيسية، خلال الحفل الواحد، عدة عروض أو فقرات، تفصل فيما بينها فواصل من +oXo، أو من مشاهد تمثيلية هزلية، وهي رئيسية بالنظر إلى ما تشكله محتوياتها من خصوصيات، هي من صميم خصوصيات طقوس "XO"، بالإضافة إلى ما تتيحه من ضروب المتعة والإثارة مضمونا وشكلا. والاسم الذي يميزون به هذه العروض عن +oXo هو "XO" تشبها لها، وربما تعريضا، بالتغني بأشعار الحب والنسيب كما يمارس عند الروايس. وهو ما يميز "XO" عن "XO" الذي له دلالات أوسع. إذ يطلق على قول الشعر وعلى التغني به معا، في أغراض مختلفة، أي على الشعر الأمازيغي بسوس بشكل عام، فيما يطلق في الخطاب المتداول محليا على الشوق والحنين⁽¹¹⁾.

بانتقال العازفين من إيقاعات +oXo إلى إيقاع "XO" الخاص ب "XO"، تسارع باقي فعاليات طاقم الموسيقى والرقص إلى الانتظام في أماكنها وسط ال "XQ"، وفي مقدمتها فئة العازفين مجتمعة ومتقاربة، يتوسطها الحاج الذي هو قائد هذا الطاقم، ثم بقية الأفراد من حاملي الأعمدة الخشبية مشكلين واحدا وراء الآخر، صفا دائريا أو نصف دائري، قد يتجاوز عشرين فردا، ويبدأ العرض تدريجيا، لا دفعة واحدة، والذي يعطيه الانطلاقة عادة هو عميد العازفين على النيات، فيتبعه زملاؤه، ومعهم العازفون على الدفوف فالطبالون ثم ذوو الأعمدة الخشبية. أما الحاج فإنه ينتظر لحظات ريثما يستقيم الإيقاع، وينتظم الرقص ليبدأ في قيادة المجموعة بإلقاء الأشعار التي يرددها بعده باقي الأفراد في تجاوب تام وانسجام رائع.

إن المتعة كل المتعة هي في أن يحيا المرء، متفرجا كان أو مشاركا، لحظات ميلاد هذه البدايات التي تتوالى من لدن العازفين، وأن ينتشي بالإحساسات التي يبعثها لديه الميلاد التدريجي للإيقاع عبر تعاقب النغمات التي يضيفها انضمام كل أداة على حدة إلى العزف في اللحظة المحددة لها وفق المنطق الذي يحكم بدايات الإيقاع. وقد جرى التقليد على أن يفتح الحاج، ومعه المرددون، الإنشاد بالبسملة والتأكيد على ثبات الهوية الدينية ل "XO"،

(11) انظر عمر أميرير. رموز الشعر الأمازيغي وتأثيرها بالإسلام. ص. 86-87

وعرضية تتمصهم لحياة اليهود، ومن ثم على الطابع الهزلي لما يقولونه أو يفعلونه أثناء هذه العروض. يقولون في هذه الأبيات:

Θεοτελεστα μνημονο . Σεξ ιβ ηβλ ΣεξΟεξ

هيا اصدق بالغناء يا فمي

ολ οκ ιϣο . Qθθξ X ολ +εοι+ ΣεΛολλ

يا رب اجعل كلامنا مستساغا

ο Σεξεξ +ηολλ +οοο ιβ . ΙκκοE ΣεξΟεξ

واجعل مشاعري تفيض بالأشعار

ΣοΦλ ο+ . Γο γξλ Σηηολ

اشهدوا أيها الحاضرون هنا

Σο Κηηηη ΙXο ςολ

أننا جميعا سواسية

Ικξι οο Xξλ ολος

وإني لست يهوديا

ηΦΕQ+ οη ΙκκξXοκ

وإنما ألهو وأبحث عن الفرجة



مشهد من العروض الرئيسية

هكذا ينطلق "ΣεξΟεξ" أو العروض الموسيقية الرئيسية، فينخرط الجميع في العزف والرقص والإنشاد، ويتصاعد الإيقاع ليملاً فضاءات ال "XQ"، الذي يمزج برقصات العازفين وحاملي الأعمدة الخشبية، وكذا بتقلات الطواقم الأخرى، فيتشكل بذلك المشهد الاحتفالي الذي يجسد بامتياز خصوصيات فرجة "ΣεξΗCο"، من خلال عناصر أساسية هي اللحن الخاص والرقص الخاص وإنشاد شعر خاص، بالإضافة إلى خصوصيات الشخصيات التي تساهم فيها الأزياء والأقنعة ومختلف الأكسيسوارات، وضروب التشويهاات التي يحرصون على إلحاقها بهذه الشخصيات، إذ لا صلة لهذه العناصر كما هي في عروض "ΣεξΗCο" بما هي عليه خارجها في عروض مختلف حفلات "ηΛοC" المحلية.

فاللحن فريد من نوعه، وهو في التراث الموسيقي المحلي لحن "٤٤٤٤٤٤" لا غير، وهو لا يتعدى جملاً موسيقية بسيطة تؤديها الآلات وتعيدها بنفس الوتيرة طيلة العرض، ومع ذلك فإن التغيير المستمر لمضامين وكلمات الإنشاد يحول دون أي إحساس بالرتابة، فيما لا يتغير إيقاع اللحن إلا نادراً، وذلك بإيقاع آخر اصطلاحاً على تسميته "٤٤٤٤٤٤ ٤٤٤٤٤٤ ٤٤٤٤٤٤" وهو اللحن الموسيقي الوحيد الذي استعاروه من غناء الروايس وتبنوه منذ الستينات من القرن الماضي، لكنهم سرعان ما يغادرونه، بعد ترديد أبيات في إطاره، ليعودوا إلى لحنهم الخاص الذي لم يحدث أن استهوى أحداً من الروايس لينسج شعراً أو غناء على منواله.

والرقص فريد من نوعه أيضاً، في حركاته، وفي تحمس وشبه معاناة الراقصين في أدائها، إنه جذبة وانتشاء وطقس شعائري أكثر منه رقص عادي، رغم أنه لا يستند على معتقدات دينية أو سحرية، كما هو حال ضروب الرقص لدى بعض الطوائف الصوفية الطرقية، كما لا ينتهي - مثل الكثير منها - إلى حالات الإغماء أو الغيبوبة أو ما إليهما .

ونفس التفرد في الإنشاد أيضاً، سواء من حيث شكله أو مضمونه، فهو قطعاً ليس غناء يروم الإطراب، ولا حتى إنشاداً من ضروب الإنشاد ذات الأبعاد الدينية أو الصوفية المعروفة محلياً، وإنما هو زعيق منفر، وأصوات تنزع؛ حتى ولو كانت رخيمة إلى اصطناع الخشونة والغلظة والفضاظة، امتداداً لمبدأ نزوع "٤٤٤٤٤٤" إلى التعامل بكل ما هو قبيح ومنفر وبذيء، ولو من خلال تشويه ما هو جميل أو جذاب أو نظيف. أما مضامينه الموغلة في الخلاعة، فمع أنها منظومة بشكل جيد، فهي ليست من الشعر أو "٤٤٤٤٤٤" الذي تعارف الناس على التغني به أو إنشاده. فهي خالية من أي من مقومات الشعر، وكلها فحش وعبث ما عدا أبيات الافتتاح الأنفة الذكر، ومقاطع قليلة جداً سرعان ما تنتهي بدورها إلى الساقط من القول طبقاً لمقتضيات نفس المبدأ، وهو ما ينأى بفقرات هذه العروض، شكلاً ومضموناً، عن مواصفات "٤٤٤٤٤٤" الذي يطلقونه عليها. إذ أن الاصطلاح على وصفها بذلك إنما هو من قبيل السخرية، ليس من "٤٤٤٤٤٤" الروايس فحسب، ولكن من مضامين إنشادهم ذاتها أيضاً .

إن الحاج بما هو قائد هذا الطاقم هو الذي يتولى اختيار المضامين الملائمة للمواقف التي تتجدد باستمرار، وذلك بتحيين محفوظاته من أشعار السابقين، وبإلقاء الجديد مما أعده هو منها. على أن الحاج الكفاء هو الذي يجيد ارتجال أشعار جديدة في خضم انخراطه في أداء هذا الدور، وذلك بانتقاد سلوك هذا المتفرج أو ذاك، والسخرية مما تلتقطه عيناه مما يروج من مشاهد في الميدان، وإحراج من امتنع من الجمهور عن الأداء بالتشهير به وببخله وتقديره. وهو في كل ذلك دائم الضرب بعموده الخشبي على الأرض، مندمجاً بكل كيانه في هذا الرقص

مثل العروض التمهيدية أو فقرات العرض الرئيسي ذاتها . إذ لا تتمايز هذه المقاطع والفقرات إلا من حيث إيقاعاتها ونوع الرقصات التي تؤدي خلالها، تبعاً لمواقعها ووظائفها داخل الحفل .

في هذه المقاطع، كما في العروض التمهيدية تخرج فعاليات طاقم الموسيقى والرقص عن الإيقاع الخاص بـ "C#C#C#O" إلى إيقاعات أخرى راقصة ومتنوعة مستعارة من الأهازيج وحفلات "C#C#C#O" المحلية، أو من أغاني الروايس، أي تخرج من دائرة "C#C#C#X" حيث الالتزام بما تقتضيه خصوصيات هذا الأخير إلى فضاء "C#C#C#C#" الأرحب والأكثر حرية في التعبير والحركة، عبر تنوع أشكال الرقص، تبعاً لتنوع الإيقاعات وخفتها، إذ تستقطب هذه الأخيرة كل من هزته أنغامها، أو أيقظت رغبته في التعبير بجسده عن الانتشاء، طالما أن الرقص على إيقاعات "C#C#C#C#" ليس وفقاً على فعاليات بعينها، فيما لا يناط في إيقاع "C#C#C#X" إلا بعناصر الطاقم الموسيقي .

ولأن هذه المقاطع فواصل للاستراحة، فإنه ما أن يبدأ العزف على إيقاعاتها حتى تسارع عناصر هذا الطاقم من ذوي الأعمدة الخشبية إلى إلقاء أعمدتهم هنا وهناك، للخلود إلى الراحة، فيستلقون على الأرض هنا وهناك أيضاً يتبادلون السجائر وغيرها، فيما تسارع عناصر أخرى من الفعاليات المتجولة، وكذا بعض المجسمات إلى تعليق مهامها العادية في الحفل لتخرط في الرقص على إيقاعات هذه المقاطع .

على هذه الوتيرة تنضم عناصر من "C#C#C#C#" (12) وكذا من شميحات إلى الرقص بسلعهن وعقاقيرهن تاركات زبوناتهن إلى حين، وتحذو الحزانات حذوهن بسبحاتهم ولحاهم الطويلة، وينضم إلى العرض أيضاً كل من أثارته إيقاعاته من فعاليات "C#C#C#O" دون استثناء، بما فيها بعض المجسمات، إذ يبدع الجمل بشكل خاص في أداء رقصات ممتعة ورائعة .

وبالإضافة إلى تميز الرقص هنا بالتنوع تبعاً لتنوع إيقاعات "C#C#C#C#" يتميز أيضاً بالتنوع تبعاً لاختلاف الراقصين، واختلاف مهامهم في الحفل بشكل عام، إذ على نفس الإيقاع يؤدي كل راقص ما يتلاءم مع هذه المهام، أو ما يشاء من رقصات، وبالطريقة التي يختارها . إذ تختلف حركات "C#C#C#C#" أو "C#C#C#C#" أثناء الرقص بحكم دورهما الأنثوي عن رقصات الحزان أو الحاج الهادئة . وتختلف هذه وتلك عن حركات هؤلاء من الراقصين والعازفين، وقد لا ينضم البعض منهم إلى المجموعة الراقصة، فيستمر في أداء مهامه حيث هو، وهو يرقص على أنغام الإيقاع المعزوف، فيرقص ويشغل في ذات الوقت . وقد لا يستمر البعض الآخر في الرقص طيلة مقطع العرض، فينصرف عنه متى شاء إلى أداء مهامه ويعود إلى الرقص مرة أو مرات أخرى متى شاء أيضاً، فيزواج هكذا بين الرقص وبين أداء ما يقوم به من مهام .

(12) جمع تاوايا : الأمة .

وإجمالاً فإن الرقص في هذه العروض كما في العروض التمهيدية ينزع لدى هؤلاء وأولئك إلى إبداع مشاهد فرجوية على طريقة "ἔρχομαι"، أكثر ما ينزع إلى الرقص المتعارف عليه محلياً، وذلك باصطناع رقصات غريبة، كهز البطون، والإفراط في تحريك المؤخرات وغيرها من أعضاء الجسم، في حركات مثيرة ذات حمولات جنسية غير نظيفة، تساعد على أدائها مختلف التشويهات التي مورست على الشخص من خلال الأزياء والأقنعة ومختلف الأكسيسوارات في إطار التشبث المبدئي لـ "ἔρχομαι" بالتعامل مع كل ما هو قبيح أو منفر، وتجسيده ولو من خلال تشويه ما هو جميل، وهو ما يجعل رقصات "ἔρχομαι" في هذه العروض خالية، رغم انتظامها على إيقاعات "τὰ ἄλλα" من مقومات فن الرقص المتناغم والموحد كما يمارس على نفس الإيقاعات في حفلات "ἄλλα" المحلية.

هذا، ولا تختلف المدد الزمنية التي تستغرقها العروض البيئية كثيراً عن التي تستغرقها فقرات العرض الرئيسي، وتنتهي بإشارات من بعض المؤطرين، فيتوقف العزف على إيقاعات "τὰ ἄλλα"، وينفض الراقصون كل إلى موقعه، ويعود العزف على إيقاع "ἔρχομαι" فتسارع العناصر التي كانت تستريح إلى تقلد أعمدتها الخشبية لتعود إلى مواقعها، فتبدأ الفقرة الموالية من "ἔρχομαι" أو من فقرات العرض الموسيقي الرئيسي.

III - عروض تمثيلية:



يمكن التأكيد على أن التمثيل، من حيث هو تشخيص لأدوار معينة، هو الفعل الأساسي الذي تشترك كل فعاليات "ἔρχομαι" في ممارسته، إذ أن مختلف الأنشطة التي تؤدي في إطار هذا الطاقم أو ذاك ليست إلا تشخيصاً لأدوار مختلفة، بما يقتضيه كل منها من أزياء وأقنعة وأكسيسوارات متنوعة، وهو ما يعني أن فرجة "ἔρχομαι" بمختلف صيغها ليست إلا ضرباً من الأداء التمثيلي الذي يقوم، من حيث المبدأ، على تشخيص ما كان يقوم به يهود المنطقة من أنشطة ومعاملات تجارية وحرفية ودينية وغيرها، وكذا ما يقوم به المسلمون من ذات الأنشطة، وذلك في قالب كوميدي ساخر يروم الإضحاك أساساً،

والنقد أحيانا، وفق مبادئ "ἔχρηστο" الأنفة الذكر، أي التتكر، والاستخفاف بالمعايير الأخلاقية، واصطناع أساليب يهود المنطقة في مزاوله هذه الأنشطة، وكل الأنشطة. إذ أن جميع أفراد "ἔχρηστο"، بمن فيهم الحاج، وهو لقب إسلامي بامتياز، هم يهود بالتعريف منذ انخراطهم في الحفل إلى حين مغادرة الـ "X8Q".

ولأن المواضيع التي تحيل عليها هذه الأدوات متنوعة، ومضامينها مختلفة فإن أدائها خلال الحفل لا يكون على نمط واحد، أو بنفس الأسلوب، لكن بأساليب وصيغ متنوعة. فمن هذه الأدوار ما يشخصه فرد واحد طيلة الحفل، ومنها ما يؤدي ثائيا طيلة الحفل أيضا، فيما تؤدي أدوار أخرى منها بشكل جماعي في إطار تمثيلات واسكيتشات هزلية تفصل فيما بين فقرات العروض الموسيقية. ومن ثم فإن صيغ الأداء التي درج عليها هؤلاء هي الصيغ الثلاث التالية:

1 - الأداء الفردي



هو للأدوار التي تحيل على المهام أو الوظائف التي يقوم بها عادة فرد واحد، وهو في فرجة "ἔχρηστο" لأدوار الشخصيات الرئيسية كالحزان و "ἡλὸς" و "ἑλὸς". وهي أدوار لا تستند، مثل الأعمال المسرحية، على سيناريوهات أو نصوص جاهزة، مما يمكن أن يهتدي به المؤدي، وإنما تستند أساسا على خبرة هذا الأخير، وحضور بديته ومهاراته في ارتجال ما يتطلبه تشخيص هذه الأدوار، من ردود فورية على كل موقف أو سؤال، وإتقان التلاعب بالألفاظ، وتضمينها دلالات ساخرة وبذيئة. وهو ما يقتضي التحكم في اللغة المحلية، ولهجة اليهود في التخاطب بها. ومن هنا صعوبة هذا الشكل من الأداء، إذ بالرغم مما يقتزن بالارتجال من تلقائية، وما يتيح للمؤدي من

حرية في ارتجال ما يراه ملائما من أقوال أو حركات، فإنها حرة مشروطة بتحقق مواصفات ومعايير في الأداء هي بالضبط معايير الأداء على طريقة "ἔχρηστο". ثم إن غياب النص لا يحرر المؤدي من إملاءات المضامين الجاهزة بقدر ما يحرمه من توجيهاتها وربما من تحديدات لمطالب معينة قد تساعد على الأداء، فلا هو مطلق الحرية إذن في ارتجال ما يريد، ولا نص يهتدي به إلى المطلوب. ومن ثم فسند المؤدي لدور الحزان أو "ἡλὸς" أو "ἑλὸς" هو في نهاية الأمر مؤهلاته، وإلمامه بمعايير الأداء المطلوب المستمدة من ذاكرة المدينة.

في ضوء هذه المرجعية تشغل الفعاليات التي تؤدي أدوار هذه الشخصيات داخل الحفل، وتأخذ في أداء مهام كل منها بشكل فردي بتزامن مع أداء الطاقم الموسيقي للعروض الموسيقية الراقصة. أ- يقوم الذي يؤدي منها دور الحزان بتشخيص المهام المتعددة لهذه المرجعية الدينية فيجوب ميدان الحفل مشهرا سبخته الطويلة، وسفر التوراة الضخم الذي يوزع منه تعاليمه ومواعظه الساخرة، يحاور هذا وذاك، مجيبا على مختلف الطلبات التي تتجه كلها إلى ماله صلة بما هو من اختصاص أحبار اليهود في ثقافة المنطقة كالسحر والشعوذة، وقراءة الغيب، وعلاج بعض الأمراض، مقدما في هذا الصدد وصفات بطقوس مثيرة للعانس من الفتيات، وللعقيم من النساء، وللعين من الرجال، وأخرى غير هؤلاء. وهي وصفات تحمل بالإضافة إلى العديد من العبارات المعهودة في قاموس "𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" ، تهكما لادعا من الطلب والطالب والمطلوب على السواء.

ومما تواتر من هذه الوصفات مما يرددها الحزان، وينسج على منوالها، وكذا "𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" و"𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" ، أن على العانس طرد سوء الطالع بالتبخر بإحراق "𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" وهو الاسم الأمازيغي لعشبة طبية تسمى "سرغينة"، والنطق به محرفا هكذا يعطي معنى مخلا بالحياء. وعلى العقيم كي تصوير ولودا أن تبث عن "𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" الذي لا يملكه إلا الحزان، أي القضيبي من الخشب الذي يقطر لبنا، وهو كناية عن قضيبي الرجل. فيما على العنّين أن يقوم بإجراءات مختلفة كلها مخلة بالحياء إلى حد بعيد. وعلى غرار هذه الوصفات ينطلق الحزان الماهر في ابتداع أخرى لا حصر لها، ويقترحها على الرجال والنساء الذين يتجاوبون معها، ويبدون إعجابهم بها ويؤدون أثمانها.

وبانتقال الحفل إلى العروض التمثيلية، يواصل الحزان أدائه الفردي بممارسة طقوس دينية ذات الصلة بهذه العروض، فيعطي الانطلاقة لتشخيص بعض العمليات، ويترأس مراسيم اختتام بعضها الآخر، وذلك بابتهالات وأدعية غريبة، يعدها سلفا أو يرتجلها، بالإضافة إلى ما تواتر منها لدى "𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" ، ويصدر فتاوى دينية في منازعات مفتعلة، ويؤم الصلوات في إطار بعض التمثيليات، وهو في كل ذلك دائب الحركة، ودائم التهكم والهزل، ودائم الانفلات من المعايير التي تحدد، أخلاقيا، ما يقال وما لا يقال.

فأدعيته وابتهالاته لا حصر لها، وهي تختلف باختلاف العمليات والطقوس التي يترأس أدائها، وكلها شاذة تدعو بإلحاق ويلات مخيفة بالمستمعين من "𐤅𐤇𐤁𐤏𐤃" ، بما هم يهود، وبه أيضا، فيردون جميعا بكلمة "آمين" مع التشديد على النطق بها نطق اليهود المحليين، أو على الأقل تحريف النطق المحلي بها.

استعمالها، فتثير بشروحاتها فضول النساء اللاتي يقبلن على الإنصات إليها باستمتاع وإعجاب. وهي في كل ذلك دائمة الاحتضان بحذب وحنو زائدين لوليدها "٨٤٠٨ : ٨٤٠٨" الذي لا تفتأ تتباهى به أمام النساء.

وعلى غرار الحزان وغيره من فعاليات "٤٨٤٠٨" ، لا تعرف شروحات "٤٨٤٠٨" إلا نفس الاتجاه إلى قول ما يمنع قوله، وفي المواضيع التي لا يباح الخوض فيها، مركزة على كل ما له صلة من قريب أو بعيد بقضايا الجنس، وما يهم الرجل والمرأة، كلا منهما في الآخر، بنفس التناول القائم على اللهو والسخرية. ومن الشروحات التي تبعد "٤٨٤٠٨" في تقديمها بإسهاب ما يلي:

- خواص بعض العقاقير التي تحمل منها نماذج وهمية كالكلج والسواك والحناء وغيرها من مواد الزينة، وتقنيات تعاطيها، وكيف يمكن للمرأة إذا أنقنت هذه التقنيات أن توقع بها العديد من القتل والجرح في صفوف الرجال.

- عرض نماذج من الألبسة التي تبدي مفاتن النساء في التقليد المحلي، ونماذج من الحلي التي تحملها ضمن محتويات حقيبتها، ووظائف كل منها من منظور "٤٨٤٠٨"، وكيف يمكن إسماع رنين الأسورة منها لإثارة اهتمام الرجال، وغيره النساء.

- إطلاع الفتيات بشكل خاص على ما لم يعرفنه بعد، وما ينتظرن بتخوف وربما بشوق التعرف عليه يوما ما. ويتعلق الأمر بمجسم قضيب الرجل الشاخص في أدق تفاصيله بين بضائع "٤٨٤٠٨"، مع ترغيبهن في نزواته، أو تحذيرهن منها، ومن مغبة الجهل بفن التعامل معه. وقد تسترسل معهن في وصف تقنيات وضروب من هذا التعامل.

- تقديم وصفات سحرية مثيرة، تشتمل على مواد غريبة أو وهمية، قد لا يكون لها وجود أصلا⁽¹⁴⁾، وبأسماء غريبة، قد لا تكون لها مسميات، مع إرشاد النساء إلى كيفية إعدادها، وطقوس إطعام الرجل منها، أو ذهن أعضاء معينة من جسمه بها، حتى يكون دائم الفحولة والرغبة من جهة، وحتى تسلس قيادته بلجام أو بدون لجام من جهة أخرى.

لا حصر لمواضيع وأشكال الحوار الذي تجريه "٤٨٤٠٨" مع النساء خلال الحفل الواحد، وبشكل خاص إذا كان من يؤدي دورها بارعا في اكتشاف المزيد منها، وإغناء أدائه بها. ويؤكد ذلك من التقينا بهم ممن أدوا هذا الدور من قدماء "٤٨٤٠٨"، وتحدثوا أيضا عن العديد من الطرائف وردود أفعال صدرت خلال هذه الحوارات من بعض النساء، وهي طرائف يصعب على

(14) منها "٤٨٤٠٨ : ٨٤٠٨" (بيض البعوض) "٨٤٠٨ : ٨٤٠٨" (نخاع الود). وهي تعابير مجازية ذات دلالات أبلغ من التعابير الصريحة تدرك النساء مقاصدها فورا وتتجاوز معها.

المرء تصديقها دون تحفظ، لكن حدوث مثلها يبقى مع ذلك واردا بالنظر إلى توفر مختلف شروطه.

وخلال حوارات "Helo"، تنسى النساء والفتيات أن هذه الأخيرة ليست إلا رجلا أتاح له هذا الدور تخطي الخطوط الحمراء الفاصلة بين الرجل والمرأة في تقاليد المنطقة، وهي خطوط من المحظور إلى عهد قريب تخطيها، إذ كان من المحظور آنذاك محادثة فتاة أو امرأة، من غير ذوات القرابة، على انفراد وفي أماكن عامة، ومن الصعب رؤية وجه إحداهن عن كثب إلا إذا سهت، وأحرى محاورتهن بمثل هذا الحوار الصريح والمتشعب الذي تجريه معهن "Helo"، أو من يؤدي دورها، وفي مواضيع تنتمي بدورها إلى الطابوهات الاجتماعية. فمن خلال هذه العروض إذن وغيرها من عروض "Helo" يتحليل الجميع - "Helo" والجمهور - على الإلزامات والطابوهات الأخلاقية والثقافية، ويمارسون نوعا من التنفيس عن المكبوت الفردي منه والجماعي.

ج - ثلاثة الشخصيات الرئيسية التي تؤدي عروضها التمثيلية بشكل فردي هي "Helo" التي تتجول بدورها داخل ال"XQ"، بزيها المفروض أنه للنساء اليهوديات وبمسيرتها المتهدئة التي يبدو أن "Helo" يريدون من خلالها تمييز مشية اليهوديات عن مشية جاراتهن المسلمات، ويبدو أيضا أن أدوارها في الحفل تتداخل أحيانا مع أدوار كل من الحزان و "Helo"، ويكمل بعضها بعضا، لكن مع اتجاه أكثر إلى ما له صلة بحياة نساء اليهود بشكل عام، وبوظيفتها من حيث هي حرم الحزان بشكل خاص.

فعلى المستوى الأول تنشئ "Helo" أو من يشخص دورها حوارات ساخرة مع الرجال والنساء على السواء، تعتمد أثناءها إلى توجيه الحديث إلى ما يفترض أنه حميمي في العلاقات بين النساء اليهوديات ورجالهن، وما يتميزن به أو يتميز به هؤلاء في هذا الصدد عن جيرانهم المسلمين، من قبيل ما تعبر عنه "Helo" بعدد الصلوات والركعات التي يؤديونها، وطقوس أدائها، وكذا في إتقان نسائهم لأشغال البيت وحذقهن في عمليات الطحن والغريلة، وحلب الضروع ومخض اللبن وغيرها. على أن مهمة تنويع مجالات هذه العلاقات، وانتقاء أمثلة مثيرة عنها، وإتقان أدائها تبقى رهينة ببراعة الذي يؤدي هذا الدور.

ومن حيث هي زوجة الحزان تتطلق "Helo" خلال هذه الحوارات في تعداد مناقب زوجها، باعتماد معايير مجازية أخرى، معدة سلفا أو مرتجلة، فهي تمتدح عمله الدؤوب لإسعاد زوجته وأسرته، وتشيد باستعداده لخدمة كل الناس دون كلل، إذ يمتلك من حيث هو كبير أخبار اليهود قدرات خارقة على ذلك مفتخرة بكثرة صلواته في أي وقت، وإتقانه لطقوس كل صلاة، وغير ذلك من أشكال المجاز ذات نفس الاتجاه إلى ما هو من صميم خصوصيات "Helo". فما الصلوات

وطقوسها، والقدرات الخارقة للحزان، وما عمليات الطحن والغربلة والحلب والمخض وغيرها إلا صور مجازية لدلالات ذات صلة بهذه الخصوصيات، مما تسمح ألفاظ وتراكيب اللغة الأمازيغية ببنائها، ويدرك المتلقي مقاصدها المجازية فورا .

وقد تظهر "GEX80" في الحفل رفقة الحزان في بعض تنقلاته تؤمن على دعواته الغريبة، أو تزكي وصفاته العلاجية الساخرة، أو تجمع العطايا، لكنها غالبا ما تشتغل بمفردها، فتتخطى الرقص أو تتسحب منه متى شاءت، وتتدخل من حين لآخر لأداء خدمات أخرى كالفصل بين "T8888" وزبوناتا عند الاختلاف في تحديد خواص بعض البضائع أو في أسمائها أو في أثمنتها، وغير ذلك من كل ما يمكن أن يشكل فرصة لخلق حوار بنفس مواصفات حوارات "X8880" بينها وبين النساء والرجال على السواء .

تلك هي الأدوار الأساسية التي تؤدي فرديا في عروض "X8880" ، وعلى هذا النحو يشتغل مؤدوها داخل الحفل، على أن حديثنا عن أداءات هؤلاء ظل مقتصر على بعض ما هو ثابت فيها، وما يتردد كثيرا خلالها من أنشطة وطقوس وأقوال، وتجنبنا إطالة الحديث عن الكثير من المتغيرات والتفاصيل التي تزخر بها الحوارات التي يرتجلونها، وهي أكثر فرجية وأغنى إثارة، لكن ضبطها أو تصنيفها يظل لذلك متعذرا، خاصة في غمرة التطورات التي طالت تشخيص أدوار هذه الشخصيات. فقد تعدد المشخصون لكل منها، فنجد داخل نفس العرض عدة حزانات لا حزان واحد، وعدة مؤدين لدور "T8888" أو "GEX80" لا مؤد واحد. لكنه تعدد في الأفراد الذين يؤدون، كلا على حدة، نفس الدور، بغرض تكراره، وليس أداء جماعيا من عدة أفراد لأي من هذه الأدوار.

وفي إطار الأداء الفردي أيضا، قد يقتسم عدة أفراد مهام الشخصية الواحدة، فيؤدي كل فرد، وبشكل منفصل جانبا من هذه المهام. فبدلا من أن يقوم مؤد واحد بتشخيص دور الحزان مثلا، بمختلف مهامه، توزع هذه المهام بين من يتولى تشخيص مهامه في الإرشاد والوعظ، ومن يتولى مهامه في إقامة الصلوات ورفع الدعوات، ومن يتولى توزيع الوصفات العلاجية والسحرية وما إليها، وهي من صور الأداء الفردي التي أمكن تسجيلها في تشخيص أدوار الحزان و "T8888" و "GEX80" في عروض الدورات الأخيرة لمهرجان "X8880" . وتعزو فعاليات من الطاقم التنظيمي ذلك إلى تعدد مهام كل من هذه الشخصيات، وصعوبة استيفاء الفرد الواحد لكل المؤهلات التي يقتضيها تشخيصها، إضافة إلى طموح الأجيال الشابة إلى تطوير تقنيات "X8880" التقليدية.

غير أنه في خضم إجراءات هذا التطوير تراجع أو اختفى الكثير من محتويات هذه التشخيصات، ربما لجهل شبان "X8880" بمكانتها في الأداءات التقليدية لأدوار هذه

الشخصيات، أو لأنها لم تعد متداولة، أو لهذا وذاك ولغيره من الأسباب، فقد اختفى الكثير من أشياء "עוֹלָם" ، وأصبح المؤدون لدورها يجوبون ميدان الحفل بدونها، ولا يعرفون شيئا عن "حماد أوكتوبر" الذي لم تكن تفارقه. وتراجعت صلوات الحزان ودعواته واختفت مراسيم رئاسته لتشخيص عمليات الموسم الزراعي، ولطقوس اختتام عروض السهرات، وغير ذلك من المحتويات التي تقترن تقليديا بأدوار هذه الشخصيات، وتشكل الخصوصيات المميزة لفرجة "עוֹלָם" .

2 - الأداء الثنائي



من الأداءات الثنائية

نجد نماذج من هذا الأداء في تشخيصات "עוֹלָם" الساحرة لصور من علاقات اجتماعية فيما بين يهود المنطقة أو لنماذج من أساليب تعاملهم مع جيرانهم المسلمين، خلال التعاطي لبعض الحرف والصنائع ولغيرها من الخدمات. وقد تتسع هذه التشخيصات لتطال غير اليهود من ساكنة المنطقة منتقدة وساخرة من بعض الممارسات الشائعة محليا في مجالات مختلفة، تتولى أداءها فعاليات من الطاقم الجوال على شكل ثنائيات يقوم كل منها بتشخيص هذه الصورة أو الممارسة أو تلك، ويتنقل بها عبر ميدان الحفل موازاة لأداء باقي الفعاليات لأدوارها، وبتزامن معها .

من نماذج هذه التشخيصات مشاهد هزلية للنزاعات الأسرية يؤديها زوجان على أنهما يهوديان، هي تحمل في ذراعها دمية على أنها وليدهما، وهو يصيح بمحاذاتها غاضبا مؤنبا، يجرها للاحتكام إلى هذا أو ذاك من الجمهور، ويدعي من بين ما يدعي أنها ناشز، دائمة التطلع إلى العزاب من أبناء الجيران، تعصي أوامرهم، ولا تتقن أشغال البيت، مركزا على البعض من هذه الأشغال، وقد أثقلت كاهله بالطلبات وهو لا يملك مالا، ويهددها بالطلاق طالبا من الذي احتكما إليه، ومن يجاوره مده ببعض المال حتى لا يضطر لتخريب أسرته. وتدعي بدورها من بين ما تدعي أنه يتعبها كثيرا، فهو أكل وفحل، ولا طاقة لها بنزواته، وهو إلى ذلك شخير، وسخ، نش الإبطيين، أو تدعي أنه فقير معدم، وعاجز عن إرضاء حاجياتها ورغباتها معددة بعضها منها . على أن تتوع أشكال ومضامين الادعاءات والادعاءات المضادة رهين ببراعة الثنائي الذي يشخص هذا المشهد، إذ تتغير الادعاءات وتضاف أخرى عندما يحتكمان إلى حكم جديد، وقد تتقلب رأسا على عقب إذا كان الحكم من النساء، مما يتيح إمكانيات لا حصر لها لخلق المزيد من الصور المجازية الساحرة على طريقة "עוֹלָם" .

من هذه النماذج أيضا مشاهد لطقوس السحرة، ولأعيب قراء الغيب من اليهود، يشخصها ثنائي آخر يمثل الساحر الذي يوزع الوصفات السحرية، ويقرأ الطوالع، ومساعدته الذي لا يكف عن الإشادة بقدراته الخارقة، وبصدق تنبؤاته، ومنها أيضا مشاهد لبؤس الفنان المحلي، وكساد بضاعته، من تشخيص أحد الروايس ومرافقه، وأخرى لمعاناة التاجر أو البحار أو الفلاح، وغيرها من المواضيع التي تقتضي أو تلائم الأداء الثنائي، وتتيح في ذات الوقت إبداع المزيد من أشكال الخطاب الساهر والبذيء. إذ أن معايير اختيار مواضيع هذه التشخيصات هي ما تهيئه من إمكانيات لإنتاج خطابات من هذا القبيل.

لا يستند الأداء في هذه المشاهد مثله في ذلك مثل الأداء الفردي على سيناريوهات ونصوص جاهزة، ولا يختلفان من حيث هما كذلك، فيما يقتضيانه في المؤديين من مهارات وخبرة بمعايير وطقوس الأداء المطلوب، لاسيما وأن الأمر يتعلق هنا، إضافة إلى أشكال الحكى والإنشاد والرقص، بارتجال أشكال من الحوار الآني بالمواصفات ذاتها التي تحدد انتماء إلى خطاب "ἑρμῆος". غير أن ثنائية الأداء ذاتها، باعتمادها على مهارات مؤديين لا مؤد واحد، من شأنها، مقارنة بالأداء الفردي، أن تيسر مهام كل ثنائي في إبداع وأداء أشكال الحوار والحكي والإنشاد المطلوبة.



من الأداءات الثنائية

يبدو أن ما يتميز به هذا الأداء أيضا هو التعدد المفتوح لصوره وتعدد الفعاليات الثنائية التي تجوب ميدان الحفل، إذ بالإضافة إلى تكرار الصور المعروفة بأدائها من قبل أكثر من ثنائي واحد، في إمكان فعاليات "ἑρμῆος" إضافة صور أخرى من خلال اكتشاف مواضيع جديدة، واستحداث هذا الثنائي أو ذاك لتشخيصها مع ما تقتضيه كل منها من آليات أو أدوات، ومن حوارات بنفس المواصفات وهو ما عرفته الدورات الأخيرة لمهرجانات "ἑρμῆος". إذ إلى جانب الأداءات الثنائية المعروفة، سجلنا حضور صور أخرى مستحدثة أشرنا إلى بعضها ونرجئ الأخرى لإدراجها ضمن العروض الموازية. وما زال في الإمكان إغناء الفرجة باستحداث غيرها شريطة الالتزام بمواصفات وطقوس الأداء على طريقة "ἑρμῆος".

3 - الأداء الجماعي؛

من منطلق أن فرجة "xHCoO" بكل مكوناتها ليست إلا ضرباً من الأداء التمثيلي، وهو ما بيناه سابقاً، فإن العروض الموسيقية الراقصة التي تشكل قوام هذه الفرجة، هي بأشكالها الثلاثة الأنفة الذكر أنماط من الأداء التمثيلي الجماعي. فهي تشخيصات ساخرة لصور من أحواش المنطقة في العروض التمهيدية والبيئية، وللروايس في فقرات العروض الرئيسية، غير أن أقرب مكونات هذه الفرجة إلى الأداء المسرحي هي التي تقوم بشكل صريح على تشخيصات جماعية هزلية لأساليب تعاطي يهود المنطقة لبعض الأنشطة السائدة محلياً، مما تمارسه أيضاً شرائح عريضة من ساكنة المنطقة. هذه التشخيصات الجماعية هي التي تؤدي في إطار العروض التمثيلية التي تشكل إلى جانب العروض الموسيقية الراقصة، ومعها أنشطة أخرى، محاور فرجوية أساسية في مهرجانات "xHCoO". وتتجلى أساسية العروض التمثيلية في حفلات هذه المهرجانات في ما يلي:

- أ - تخصيص فقرات خاصة لها في برنامج كل حفل، فترة واحدة على الأقل، وثلاثة غالباً، وربما أربعة إذا طالت مدة الحفل، يؤدي أثناء كل منها ما بين عرض تمثيلي واحد إلى عرضين، وهو ما يتميز به الأداء الجماعي عن الأداءين الفردي والثنائي اللذين لا تخصص لأي منهما مثل هذه الفترات، وإنما يحضران بشكل دائم في الحفل بترامن مع باقي مواده، وموازة لها.
- ب - اختيار مواقعها في الحفل، ومواقيت تقديمها، إذ يتم تأخيرها عادة إلى ما بعد تقديم فقرات من العروض الموسيقية الراقصة حتى تتوسط محتويات الحفل ربما لتفسير الرتبة التي قد تتجم عن هيمنة هذه العروض، أو لاستقطاب حضور أكبر ممن يتجاوزون معها، أو للإبقاء على هذا الحضور، فتأتي مواقعها في الغالب فيما بين فقرات العرض الموسيقي الرئيسي، أي بدلاً من أحد المقاطع البينية الأنفة الذكر، أو بعد الانتهاء منه.
- ج - احتكارها، لحظة الأداء، لفضاء الحفل برمته، إذ لا تعطى الانطلاقة لأي عرض تمثيلي إلا بعد أن يتوقف العزف والرقص والإنشاد، وتتسحب كل الفعاليات التي يموج بها ال "xHCoO" لتخلي الميدان للعناصر التي تأخذ في الانتظام لتشكيل الطاقم الذي سيتولى أداء مشاهد من هذه العروض.

يتكون هذا الطاقم من بعض عناصر الطواقم المشاركة في الحفل، أي من أفراد من الفعاليات المنسحبة ذاتها، وهو طاقم منفرد لكل من يمتلك مواصفات تؤهله للانخراط فيه، حتى إذا ما أدى مهامه في إطاره عاد إلى طاقمه الأصلي. ولا تنحصر المواصفات المطلوبة فيما تقتضيه الأداءات التمثيلية بشكل عام فحسب ولكن فيما يقتضيه أدائها على طريقة "xHCoO" أيضاً، حيث لا سند للمؤدين إلا مهاراتهم الفردية، إذ لا يتم قبول المشاركين في هذا الطاقم إلا في ضوء ما أظهره من هذه المهارات أثناء فترة الإعداد داخل الحوش.



من الأداء الجماعي (الوليمة)

تشتمل فقرات هذه العروض على تمثيلات واسكيتشات هزلية تتناول أنشطة معينة ذات ارتباط بحياة ساكنة المنطقة، تشكل عمليات الحرث والحصاد والدراس محاورها القارة والأكثر تردداً، بالإضافة إلى مواضيع أخرى تستحدث من دورة إلى أخرى تتناول تقاليد حفلات الختان أو الزفاف وغيرها مما يستجيب لنزوات "xCHCoO"، ونزوعهم الطقوسي إلى الترفيه والسخرية من خلال القول الساقط المنفلت من أي مراعاة للوقار أو الحياء، إذ أن معيار اختيار هذا النشاط أو ذاك موضوعاً للتشخيص هو المادة التي يقدمها لإغناء الفرجة، بإنتاج أنماط من هذا القول، والتخاطب العلني بها.

وفي نفس السياق تقوم هذه التمثيلات على تشخيص هذه الأنشطة، على أنها خاصة بيهود المنطقة، فيتمصص المؤدون أدوار هؤلاء في مزاوله مختلف أطوارها وهو ما يشكل قناعاً إضافياً لممارسة التخاطب بأنماط إضافية من هذا القول. فاليهود هم الذين يتحدثون وهم يحرثون، أو وهم يتفقدون المزارع أو يحصدون، أو يمارسون طقوس حفلات الختان أو الزفاف، وهم في كل ذلك يتعاملون، أو بالأحرى يتعامل المؤدون من خلالهم برصيد لغوي محلي مليء بالرموز، وأشكال الاستعارة والتورية، وغيرها من الحيل البلاغية التي تصب كلها في الخطاب الساقط الآنف الذكر.

فعلى سبيل المثال يعلن المزارع اليهودي، جواباً على سؤال من بعض زملائه أنه عازم خلال الموسم الحالي على حرث عدة أماكن منها المسماة: "xCHCoO" و "xCHCoO" (15) فيرد عليه مزارع آخر بأنها فعلاً مزارع جيدة، ومعتطاء، وأنه أحسن

(15) أسماء هذه الأماكن تحيل بشكل مجازي على أجزاء معينة من جسد المرأة. فـ «بيكي ن تيباتين» هو ما فوق النهود و«بيكي وافود» هو ما فوق الركبة. و«تالالت ن وافار» تعني الشعبة المعشوشبة، أي عانة المرأة من بين فخذيهما.

الاختيار، وما عليه إلا أن يتقن حرثها، ويتعهدا بالنقش والأسمدة والسقي حتى تجود بغل جيدة، ويضيف آخر مؤكدا أن الحرث الجيد يقتضي امتلاك محراث قادر على تعميق الحفر وخدمة التربة على النحو المطلوب، إذ كلما كان الحفر عميقا كلما جادت التربة وأخصبت.

في هذا المقطع يلعب المؤدون على الكلمات، ويحملونها عدة دلالات، يتحكم السياق العام والخاص في تحديدها، وكذا في إدراكها فورا أو بعد لأي. فالكلمات الواردة في الحوار مختارة بدقة، ومحكمة البناء، دلالاتها خارج العروض التمثيلية دلالات حقيقية، وليست مجازية، وليس فيها ما يخدش الحياء أو ينافي الأخلاق، فهكذا يتحدث المزارعون عادة غداة موسم الحفر. لكنها ليست كذلك في سياق هذه التمثيليات، حيث تحمل دلالات مجازية، ظاهرة أو عميقة، تنصرف أكثر ما تنصرف على عادة "xCHCoO"، إلى ماله صلة بمواضيع الجنس وأدواته، ومختلف شؤونه. فالحرث من حيث هو فعل، والمحراث من حيث هو أداة، والتربة من حيث هي موضوع هذا الفعل، وتعميق الحرث، والتعهد بالسقي، بالإضافة إلى أسماء المزارع وغيرها كلها كلمات وعبارات تحمل الدلالات التي من هذا القبيل، يدرکها الجمهور الحاضر فورا، ويتجاوب معها بقوة. على هذا المنوال يتخاطب مؤدو هذه التمثيليات، ولا يتحدثون بغير هذا الخطاب، ويواصلون تفجير كوامن اللاشعور الجمعي من خلال نسج ما لا حصر له من مثل هذه الدلالات عندما يشخصون مختلف العمليات المرتبطة بأنشطة أخرى كالحصاد والدراس. وعندما يشخصون مراسيم بعض الاحتفالات المحلية وطقوسها، مستغلين في ذلك إمكانيات اللغة المحلية بشكل خاص، كما سنتعرض لذلك لاحقا.

وفي كل هذه التشخيصات لا يسترشد الممثلون هنا أيضا، بتعليمات أو توجيهات تقنية أو فنية معينة، إذ أن بعض متطلبات العمل المسرحي غائبة في مسرح "xCHCoO"⁽¹⁶⁾. فباستثناء سيناريوهات الأنشطة المشخصة التي يعرفها الممثلون عن كثب، بحكم انتمائهم للمنطقة، وهي سيناريوهات ثابتة لا تتغير، وفارغة، فإن هؤلاء لا يستندون في ما يقدمونه على نصوص معدة سلفا يقتفون تمفصلاتها، أو على إرشاد من لدن مخرجين إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا الاقتفاء، فتقع مسؤولية ملء هذه السيناريوهات، وارتجال الحوار بالمواصفات الأنفة الذكر، وجودة الأداء بشكل عام، على عاتق المؤدين الذين يصدرون في كل ذلك عن خبرتهم بالمطلوب، ومهاراتهم الذاتية في إنجازها، انطلاقا مما تمليه المرجعية الثقافية التي يحملها كل مؤد حول مقومات ومعايير الأداءات التمثيلية وفق خصوصيات فرجة "xCHCoO". على أن هناك

(16) لا نجرؤ بالنظر إلى تواضع رصيدنا المعرفي بقضايا المسرح على الخوض في علاقة العروض التمثيلية لدى "يعمشار" بالفن المسرحي. ومع ذلك يمكن أن نقول بأن هذه العروض أقرب كثيرا إلى العمل المسرحي من "الحلقة" و"البساط" و"سيدي الكتفي" و"سلطان الطلبة" التي بحث فيها الدكتور حسن المنبجي وغيره، عن ملامح لمسرح مغربي شعبي سابق على الفن المسرحي المستورد. انظر كتابه: أبحاث في المسرح المغربي. ص 19-36. منشورات الزمن - البيضاء. 2001.



فيما يخص الحوار، مقاطع هي مما تحتفظ به هذه المرجعية لحوارات صارت متداولة بحكم تردها في التمثيلات، ونظرا لجودة صياغتها، وهي بمثابة حوارات جاهزة، لكنها شذرات قليلة ومتفرقة بعيدة عن إرضاء تعطش الجمهور وكذا الممثلين إلى إبداع حوارات آنية طريفة ومتنوعة، فينحصر دورها في اتخاذها من لدن المبتدئين من "EHCeO" نماذج ينسجون على منوالها حوارات غيرها.



مائدة المادية

غير أن غياب النصوص الجاهزة، وتقنيات الإخراج، وما إليها في مسرح "EHCeO"، أي تحرر المؤدي من مثل هذه المقتضيات، هو الذي يفتح الطريق أمام المهرة من الممثلين لإبداع أشكال جديدة من الحوارات الزاخرة بالصور البلاغية التي تجسد الدلالات الأنفة الذكر. فتشكل العروض التمثيلية من هذا المنظور، مقارنة بالعروض الموسيقية حيث ضرورة الخضوع للكلام المنظوم، أو ضرورة نظم الكلام، فضاء أرحب للترفيه وممارسة أشكال السخرية واللهو من خلال ابتكار ما لا حصر له من هذه الصور. ومن حيث هي كذلك فهي تسمح أيضا بممارسة النقد اللاذع لبعض الممارسات الاجتماعية السائدة محليا، والتشهير أمام الملأ، تصريحاً

أو تلميحاً، بمن يتعاطاها أو بمن تورط في قضية فساد أو رشوة أو سرقة، أو أمر كبير أو صغير. ويشتهرون أيضا ببخل غني، أو بظلم مسؤول، أو بزلة فقيه، وبغير ذلك من المثالب دونما تحسب لملازمة من يعنيه الأمر، ومقابل ذلك يمتدحون بنفس الأسلوب الساخر سخاء بعض الأشخاص، ويشيدون بمواقف البعض الآخر، وحتى بجمال بعض النساء، لذلك يحتاط الكثير من المتفرجين من هذه التشهيرات فيسارعون إلى اتقائها بعطايا مالية إرضاء لطلبات المؤدين.

وفي ختام كل عرض تمثيلي تحرص الفعاليات المشاركة، تمهيدا لعودة كل منها إلى موقعها في طاقمها الأصلي، على الربط بين آخر ما تم تشخيصه من أنشطة، وبين الفقرة الموالية في الحفل، وهي في الغالب فقرة أخرى من العروض الموسيقية الرئيسية أو "X8O4X". فيصلون هكذا ما بين جمع المحاصيل الزراعية مثلا، في نهاية المشهد الخاص بعملية الدرس، وبين إقامة حفلات موسيقية راقصة تعبيرا عن فرحة المزارعين بوفرة المحاصيل الزراعية بعد موسم فلاحي شاق، فتكون فقرات الحفل موصولة فيما بينها، مترابطة وظيفيا، رغم تنوع محتوياتها، واختلاف إيقاعاتها. هذا، وطالت العروض التمثيلية مؤخرا عدة تطورات مست مضمونها وشكلها، وذلك في سياق تطوير "X8H6O" للآليات الأساسية للفرجة، فقد عمدوا إلى تنويع مضامين هذه العروض التي لم تكن تتعدى الأنشطة الفلاحية المحلية، بإضافة مشاهد من مواضيع وأنشطة لم تكن معهودة قبلا في هذه العروض. ومن بين ما استوقفنا منها في الدورات الأخيرة مشهدين بارزان، أحدهما عن مأدبة غداء أو عشاء، والآخر عن حفل للزفاف.

تبدأ طقوس المأدبة أو "الزردة" بدخول جماعة من أفراد "X8H6O" إلى الـ "X8Q" حاملين كل لوازمها: مائدة محلية قديمة، مغطاة "بمكب" محلي رث يحملها أحدهم فوق رأسه أو بين يديه، ويحيط به الآخرون في صياح وزعيق، منهم من يحمل الطست والإبريق المستعملين لغسل الأيدي، وهما باليان ومربوطان فيما بينهما بحبل رقيق راش. ومنهم من يحمل القدر والمغرف الخشبي الكبير في حركات من يعد الكسكس، وآخر يحمل الإناء المليء باللبن أو بسائل يشبهه، وغير هؤلاء يحملون أواني أخرى مختلفة وأدوات قد لا تكون لها علاقة بمرافق المأدبة وسرعان ما ينضم أفراد من داخل الـ "X8Q" إلى هؤلاء، ويتحلق الجميع حول المائدة، في تظاهر باللهفة واستعجال الأكل.



يرفع أحدهم المكب عن المائدة، ويضعه فوق رأسه أو رأس أحد رفاقه ويكشف عما بداخلها. إنه طبق من روث الدواب، وغالبا من فضلات البقر، عليه رؤوس ومخالب الدجاج، وربما بعض البيضات، أو ما يشبهها، وأشياء أخرى تشبه الطماطم وغيرها، وذلك في شكل طبق من الكسكس بخضره ولحمه، يأخذ الجميع في التظاهر بالأكل منه، ودعوة الجمهور إلى مشاركتهم فيه. وقد يحاولون إطفاء البعض مما في الطبق، فيكثر اللغط، وترتفع أصوات الرفض وأصوات الترغيب فيه، وتتعالى الضحكات بمختلف رناتها، وتنتهي المأدبة غالبا بصب كل ما يحتويه الإناء من اللبن داخل الطبق وخلطه بكل محتوياته، وقلب الطبق بكل ما فيه داخل المائدة، وإلقاء الطست والإبريق وكل الأواني عليها وإعادة تغطيتها بالمكب، فينصرف الجميع على إيقاع هذا الصخب والزعيق إلى العرض الموالي.

أما مراسيم حفل الزفاف فإنها تبدأ بإدخال العروسين، وهما في زي الزفاف المحلي إلى ميدان الحفل، محاطين بمجموعة من أفراد "XHCeO" في أزيائهم وأقنعتهم التنكرية، يرددون خليطا من الأهازيج المحلية والدخيلة، ثم يقومون بحمل العروس على خشبات فوق أكتافهم، في تشخيص لمراسيم حملها على العمارة، وهي من العادات الدخيلة على المنطقة، يطوفون بها داخل ال "XQ"، مرددين نفس الخليط من الأهازيج تتخللها صيحات على أنها زغاريد، مع تمنيات وتهاني مشؤومة في استهزاء بالعريس والعرس والعروس، واستخفاف بمراسيم الزفاف وأهازيجه.

ويبدو أن المجال مفتوح لاستحداث تشخيصات أخرى شريطة الالتزام بقواعد الفرجة وخصوصياتها، وفي هذا الصدد جاء تشخيص هذه المشاهد وفيما لأسلوب "XHCeO"، القائم على اللهو والسخرية وفحش الكلام، لكن مع تراجع بين للعنصر الأساسي في فرجة "XHCeO"، هو تقليد يهود المنطقة في التعاطي لهذه الأنشطة، وهو ما لم يكن حضوره بارزا في هذه التشخيصات، ويفضي إلى طرح سؤال عام وهام حول قيمة التطورات التي طالت مختلف آليات فرجة "XHCeO"، وما إذا كانت في اتجاه إغنائها مع الحفاظ على خصوصياتها، أو على العكس من ذلك في اتجاه تهجينها وتمييع خصوصياتها.

III - عروض موازية :

هي أداءات أخرى متنوعة، تختلف من حيث مواضيعها، ومن حيث تقنيات أدائها، وكذا من حيث المواد والأدوات التي تعتمد عليها، ويتعدى لذلك تصنيفها داخل العروض الموسيقية أو العروض التمثيلية. إنها أشكال فرجوية أخرى موازية لهذه العروض ومتزامنة معها، منها ما هو من الأداءات التي تساهم بها المجسمات في الحفل، ومنها أشكال أخرى كثيرة التنوع، وغير قارة، تستحدث

من دورة لأخرى ضمن تشخيصات "xHCoO"، تتولى أداها فعاليات مختلفة، تستمر أو تختفي تبعاً لنجاحها أو فشلها في إغناء الحفل بأشكال فرجوية إضافية.

1 - عروض المجسمات؛

تتميز هذه العروض بإمكان أدائها خارج ميدان الحفل كما بداخله، إذ تأخذ المجسمات، وهي من الطواقم الأساسية لدى "xHCoO"، في الاشتغال مباشرة بعد الخروج من الحوش وعبر الأزقة والدروب المؤدية إلى مكان الحفل، وتستمر مشغلة حيثما هي، حتى في طريق عودتها إلى الحوش بعد نهاية الحفل. وتتخذ عروضها صيغا متعددة تبعاً للحيوان أو الشيء الذي يحيل إليه كل منها، وما يقتزن به من خصائص وسلوكات وفق التصورات التي تكونت عنه في الثقافة الشعبية المحلية، وهو ما تسعى الفعاليات التي تتقمصها إلى تجسيده من خلال العروض التي تؤديها على الشكل التالي:

أ- الجمل : QoQ

يظل راكضاً بقيادة راعييه الذي يلازمه باستمرار، ويشرف على عروضه داخل ال "x%Q" وخارجه، يسير بجانبه ماسكاً زمامه بإحدى يديه، وعصاه الطويلة بالأخرى، يحثه على أعمال معينة، ويزجره عن أخرى، في تقليد لحركات سائق الجمل وتقنياته، تتخللها تعابير وحركات مخلة بالحياء. وكلما ألتقن المتقمصان للمجسم حركات الجمل عند نهوضه أو بروكه وأثناء مشيه أو ركضه، وكذا حتى عند رقصه، كلما أمتعا الجمهور الذي يتجاوب مع هذه العروض، على أن أكثر عروض الجمل تردداً وإمتاعاً في ذات الوقت هو سرعته في مفاجأة هذا أو ذاك من الجمهور، ونزع ما على رأسه من عمامة أو قلنسوة أو قبة أو غيرها، وذلك بالعض عليها بأسنانه، ورفعها عالياً، والركض بها لعدة أمتار، ولا يعيدها لصاحبها إلا بعد أداء فدية مالية للراعي.

ويبدو أن عروض الجمل تتجه في معظمها إلى جمع عطايا مالية من الجمهور، إما عن طواعية، أو بانتزاعها منه مقابل إعادة ما انتزع كما أسلفنا، أو مقابل إخلاء سبيل من تمت محاصرته، أو غير ذلك من تقنيات وحيل الجمل وراعييه. وقد تقوى هذا التوجه في السنوات الأخيرة باعتماد أكثر من جمل في الدورة الواحدة، واستحداث مجسمات لجمال ذات الذروتين وتسخيرها لحمل صغار الأطفال مقابل بعض الدراهم في جولات عبر أرجاء الميدان. وتشكل عروض الجمل من هذا المنظور مورداً مالياً هاماً لهيئة "xHCoO"، وهو ما أجمع عليه من حاورناهم في هذا الموضوع ممن تقلدوا بعض المهام في هذه الهيئة. هل هو تطور في مجسمات جمال "xHCoO" وفي عروضها ووظائفها داخل فرجة "xHCoO"، أم هو انحراف عن خصوصيات هذه الفرجة ؟

ج- الضبع 𐤆𐤇𐤆𐤏

يظل متواريا بعيدا عن أنظار الجمهور واللاعبين معا، لكنه متأهب باستمرار للانطلاق من أي جهة، وفي أي لحظة لمفاجأة اللاعبين، في هجمات خاطفة يقطع خلالها، في قفزات سريعة ميدان الحفل من أقصاه إلى أقصاه، ليتوارى من جديد في مكان ما . ومن حين لآخر يعود لأداء نفس العرض، وفي كل مرة يصاب اللاعبون بالذعر، ويقطع كل منهم ما كان بصدد القيام به في إطار عروض هذا الطاقم أو ذاك، ويسقط أرضا، أو يفر هاربا إلى حين اختفاء الضبع . والأساسي في عروض الضبع هو ردود أفعال اللاعبين، وصرخات الذعر التي يصدرونها مرفوعة بعبارات نابية، تشكل بمعية منظرهم وهم يتساقطون أو يفرون من شدة الفزع، ويلقون ما بأيديهم من أعمدة خشبية أو أشياء أخرى مشهدة فرجويا مثيرا، تضيفه عروض الضبع إلى مشاهد الفرجة في عروض "𐤆𐤇𐤆𐤏" .

على أن أشهر هجمات "𐤆𐤇𐤆𐤏" هي التي يشنها في اللحظات الأخيرة للحفل عندما ينشغل كل اللاعبين بالتأمين على الدعوات التي يختم بها الحزان عروض هذه الليلة، إذ ينقض فجأة على ال "𐤆𐤇𐤆𐤏" ، وييث الرعب في صفوف هؤلاء، فيفرون في كل اتجاه، هاربين بعنادهم وعدتهم وحيواناتهم، فينفذ الحفل وينصرف الجميع .

تري ما دلالة حضور الضبع، وهو حيوان متوحش ومفترس في حظيرة "𐤆𐤇𐤆𐤏" ؟ وما دلالة إنهاء الحفل كل ليلة بهجمة من هجماته؟

د- البقرة 𐤁𐤇𐤏𐤏𐤏𐤏

تتخصر الأداءات التي تساهم بها البقرة، أو من يتلبس مجسمها في بضعة مشاهد، لعل أكثرها ترددا تقليد الوضعية الخاصة بالبقرة عند بروكها على الأرض، وذلك داخل الكُور، أو هنا أو هناك على جنباته، موازاة للعروض الموسيقية، وغالبا ما يطول بقاؤها على هذه الوضعية لفترات تتظاهر أثناءها بالاجترار، أو تصدر بعض الحركات كالتى تقوم بها عندما تهم بنطح أو ركل من يقترب بها من الأطفال أو المتفرجين، أو عندما تطرد عنها الذباب، كما تصدر من حين لآخر أصواتا كالخوار، إلى أن يأتي دورها في الانخراط في العروض التمثيلية لتشخيص عملية الحرث .

وفي هذا المشهد، ينضم الحمار إلى البقرة لتشكيل الثنائي "𐤁𐤇𐤏𐤏𐤏𐤏" الذي يجز المحراث ويقودها أحد اللاعبين، ماسكا في يمناه بالمحراث، وبعضا طويلة في يسراه، في حركات مزارع يهودي، وهو لا يكف عن حثهما بأمازيغية يهودية على حركات وسلوكات، ويزجرهما عن أخرى، مستعملا مختلف تعابير المزارعين التي يحملها دلالات مجازية مخلة بالحياء يغني بها فقرات العروض التمثيلية .

هذا وتشارك "𐤁𐤇𐤏𐤏𐤏𐤏" في أحد هذه المشاهد عندما تقدم على حلب البقرة التي تصر على الإمساك عن إدرار الحليب، فتغتاظ اشميعة، وتدعو على البقرة بالعقر والنضوب وأشياء أخرى .

هـ- البابور $\mathbb{E} \mathbb{H} \mathbb{C} \mathbb{O}$ الاله

مع ضخامته وتكلفته المرتفعة لا تتعدى مساهمته في الحفل استعراض ضخامته تلك، ليس داخل ال "X%O" الذي قد لا يجد فيه حيزا يسعه، ولكن قريبا منه حيث يلبث راسيا أمام المتفرجين الذين يحرسون على مشاهدة "O%X%O الاله" وبعض الأضواء تشع في أركان منه، أو تتبعث من كوى ومنافذ فيه، كما قد ينبعث بعض الدخان من مدخنته، إلى غير ذلك من الاستعراضات التي لا تتيح مثل ما تتيحه باقي المجسمات والتشخيصات من فرص لإنشاء خطابات أو خلق الحوارات المعهودة في عروض "O%X%O".

غير أنه بغياب هذه المجسمات لدى الأجيال الحاضرة ل "O%X%O"، غابت معها عروضها الأنفة الذكر، ولم يبق منها إلا عروض الجمل التي تطورت بدورها على النحو الذي رأيناه، وذلك مقابل ظهور أشكال أخرى من العروض التي تؤديها فعاليات تم إحداثها مؤخرا، منها ما يندرج ضمن المجسمات، ومنها فعاليات أخرى مختلفة تحضر وتغيب بناء على مردوديتها الفرجوية.

يتعلق الأمر في ما استحدث منها بالعروض التي تؤديها مجسمات الحمار الوحشي والديناصور والزرافة، وهي عروض ذات مردودية فرجوية ضعيفة بالمقارنة مع عروض المجسمات الكلاسيكية الأنفة الذكر، ربما لأنها غير معروفة محليا، ولا تقتزن بها تصورات معينة كالتي تقتزن بهذه المجسمات في المتخيل الشعبي المحلي، وتتحصر عروضها في التجوال عبر الدروب والأزقة، وداخل ال "X%Q" وعلى جنباته مستعرضة أشكالها المثيرة التي لا تحيل إلا إلى التفكير في مهارة صانعيها من شباب "O%X%O" المولعين بالبحث عن كل جديد يمكن أن يغني الفرجة. ويبقى استمرارها أو إختفاؤها رهينا بما تساهم به في هذه الأخيرة، وفي الرصيد المالي للمجموعة. ويبدو أن تجربة مجسم الحمار الوحشي لم تحقق شيئا من ذلك، ولم تغط، حسب بعض المشاركين، حتى نفقات بنائه، فاختفى بعد دورتين من ظهوره، فيما ينتظر تقويم المردودية الفرجوية والمالية للديناصور والزرافة، وإذن استمرارهما أو توقيفهما.

على أن وضعية هذه المجسمات، منظورا إليها في علاقاتها بباقي عناصر بنية "O%X%O" تبدو نشاطا وغير مبررة لا فرجويا ولا وظيفيا، فهي ليست كباقي المجسمات التي تدخل في علاقات عمل متكاملة فيما بينها، عند تشخيص الأعمال الفلاحية مثلا، ولا تتيح مثل ما تتيحه من فرص لممارسة ساقط القول، بما هو من المبادئ الأساسية لدى "O%X%O".

2- عروض أخرى؛

هي عروض مختلفة ومتنوعة تقدمها فعاليات مختلفة ومتنوعة أيضا، تحدثنا منها آنفا عن عروض الزوجين اللذين يتخاصمان باستمرار، وذلك في إطار الحديث عن الأداء التمثيلية الثنائية، ومن أبرز ما رصدناه من أشكالها الأخرى خلال الدورات الأخيرة ما يلي:

أ - شخص يسوق حمارا حقيقيا بكامل عدته، محملا بالعديد من أشياء متنافرة لا تربطها فيما بينها أية علاقة، وغير ذات قيمة، كالأواني القديمة، ومختلف الأدوات والأحذية



عروض أخرى

والملابس الرثة، وأجزاء الدراجات النارية والعادية وبالونات، وبعض أنواع اليقطين اليابس، وغير ذلك من كل ما وقعت عليه يده من سقط المتاع، معلقة كيفما اتفق على جانبي الحمار وخلفه وعلى عنقه، يجوب بها ميدان الحفل على أنه بائع متجول، أو عطار بالتعبير المحلي، أو مرمم الأدوات المعطلة، متوقفا هنا أو هناك لعرض بضاعته التي لا تختلف من حيث دلالات محتوياتها، وإمكاناتها التعبيرية عن بضاعة تاوايا أو الحزان. وتتبعث من أماكن مختلفة من جسم الحمار إشارات ضوئية ملونة ومنتظمة من حبابات صغيرة موصولة عبر أسلاك خفية ببطارية تشغل من داخل هذه البضاعة، ولا يفوت صاحب هذه الفكرة أن يركز

على ما يتمتع الجمهور بإبراز الإشارات التي تصدر من مناطق حساسة من جسم الحمار.
ب - شابان يتقلدان العدة الكاملة لصيد السمك، على ظهر أحدهما سلة الصياد، وييده قصبه الصيد بكامل عدتها، وعلى ظهر الآخر عدة الغوص، وييده شبكة الشّي (شواية)، بداخلها سمكات سردين حقيقية، لا يفترقان ولا يتوقفان عن التجول داخل الميدان، ومن حين لآخر يقوم حامل السمكات بشيها على النار المتقدة وسط ال "X%Q" ، ويتظاهر بإطعام رفيقه وأفراد من "XHCeO" أو الجمهور منها، ويكون الإغفاء من تناولها بأداء كل أو بعض ما يطلبانه من مال، وذلك في حركات لاندري إن كانت إشادة بصبر البحار وتحمله، أو رثاء لمعاناته، أو هما معا .

ج - الرئيس ومرافقه. الأول بربابه الأمازيغي ولباسه التقليدي يتغنى بأشعار ساخرة في مواضع مبتذلة، يرددّها بعده رفيقه بقناعه وزيه الأوروبيين وقيثاره الحديث، أو يرد عليه بلازمة معينة لا يكف عن ترديدها، يمدحان من بادر إلى تلبية طلبهما، وبهجوان من تلكأ أو امتنع عن الأداء. وقد يكتفيان إذا ما نالا مرادهما بعزف متقطع، سوي أو غير سوي، ولا يكفان عن التقل من متفرج هنا إلى آخر هناك، يعيدان نفس المشهد المليء بمفارقات، وتعريضات ساخرة بالروايس ومن الروايس وأحيانا بما يفيد الرثاء لسوء ما

معاكسة المتفرجات من الفتيات والنساء، والتحرش بهن جنسيا، وربما إلى الاغتصاب وهتك الأعراض. فكانت هذه الانحرافات المتهورة من بين أسباب إلغاء السلطات المحلية لمهرجان "EHCeO" لعدة سنوات.

IV - النصوص:

تخزن ذاكرة "EHCeO" بتيزنيت، وكذا الذاكرة الشعبية بها وببواديها تراثا شفويا متنوعا مما يجدر أن نسميه "أدب" "EHCeO"، وذلك بالموصفات والمعايير التي تفرض التعامل معه على أنه صنف أدبي متميز شكلا ومضمونا، عن باقي أصناف الأدب الأمازيغي بالمنطقة. ويشتمل هذا التراث على العديد من النصوص التي تشكل قوام طقس "EHCeO" وإحدى دعائمه الأساسية بالنظر إلى أنه من خلالها يمارسون مختلف الطقوس التي يقوم عليها واحد من أهم المبادئ الأساسية لهذا الطقس، وهو مبدأ تحطيم الطابوهات وخرق المعايير الأخلاقية، الذي من أجله كان مبدأ التكر ومبدأ التشبه باليهود في النسيج البنيوي لطقس "EHCeO"، ومن ثم تتحدد نوعية هذه النصوص، وتتحدد طبيعة مضامينها بما يمليه هذا المبدأ، مما يجعل منها ملكا خاصا لـ "EHCeO".

ومن المؤكد أن هذه المضامين التي تأخذ بالسامع وتشيره بتمردها على المؤلف هي التي أتاحت تداول تراث "EHCeO"، واستمرار تواتره عبر أجيال عديدة، غير أنه من المؤكد أيضا أن يكون النسيان قد طال الكثير من مواده، بالنظر إلى اعتماده أساسا على الرواية الشفوية، إن في تداوله أو في نقله من جيل إلى آخر، وأيضا بالنظر إلى التوقفات التي عرفها مهرجان "EHCeO" لعدة سنوات، وهو ما أثر سلبيا، ليس على تواتر نصوص "EHCeO" فحسب، ولكن أيضا على معظم مكونات الفرجة وآلياتها وبشكل متفاوت على أساليب أدائها.

وقد اعتمدنا في جمع ما يلي من هذه النصوص على الرواية الشفوية ذاتها وتحرينا ضبط نسبتهما إلى "EHCeO" من خلال الأشكال المتاحة لهذه الرواية، وهي الحفظ، والتواتر، فكان اطمئناننا تاما إلى ما أخذناه من أفواه بعض شيوخ "EHCeO" ممن كانوا يؤديون الأدوار الأساسية في تشكيلات "EHCeO" الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، وكذا إلى ما كان متواترا منها في الذاكرة الجماعية المحلية، مما يتداول من أشعار وأقوال ومأثورات في مختلف مجالس اللهو والترفيه، على أنه من قول "EHCeO"، ومن إبداع "EHCeO"، وذلك بالإضافة إلى ما سجلنا ميلاده مباشرة فور النطق به في غمرة عروض الدورات الثلاث الأخيرة. على أن التعرف على ما ينتمي إلى حقل "EHCeO" مما يعج به فضاء الثقافة الشعبية من أشكال القول المنظوم وغير المنظوم ليس صعبا على أي حال بالنظر إلى خصوصيات مضامينه الأنفة الذكر.

يكون اعتماد هذه النصوص، بوصفها عدة للعمل، مثلها مثل الأفعنة والأزياء، لازما لكل الفعاليات المشاركة في المهرجان، وتكون حاضرة في كل مراحل هذا الأخير وبشكل أقوى في العروض الموسيقية والعروض التمثيلية، وكذا في أشكال الحوار المتعدد الأطراف. ومن ثم فهي على شكل أشعار وكلام منظوم أحيانا، كما هي في عروض "XOX" ، وأحيانا أخرى على شكل حوارات وأقوال مأثورة كما هي في باقي عروض وأداءات "XOXO" .

1 - النصوص المنظومة :

أخذا بمبدأ التمييز بين الشعر والنظم من حيث أن كلا منهما قول منظوم وفق إيقاعات وتقنيات معينة، مع اقتصار النظم على هذه العناصر واقتضاء الشعر، بالإضافة إليها، خاصية الشعرية التي تقوم على الأحاسيس والانفعالات التي يبعثها فيه قائله، فإن ما نقول عنه شعر "XOXO" ليس إلا قولاً منظوماً، لغيا هذه الخاصية فيه، وما كان لها أن تحضر فيه بالنظر إلى خصوصيات فرجة "XOXO" التي لا تقتضيها، وقد لا تستسيغها. وبصرف النظر عما إذا كان الأخذ بهذا التمييز وارداً في حقل الشعر الأمازيغي أم أن بعضاً من خصوصياته قد لا تقتضيه، فإن ما يتعين إقراره هو أن تراث "XOXO" المنظوم بعيد من حيث مضمونه العام عن الشعر بما هو شعر، رغم تعاملنا معه على أنه كذلك.

هذه الأشعار هي التي تشكل مادة الإنشاد الطقوسي أو "XOX" في عروض الموسيقى والرقص الرئيسية بقيادة الحاج الذي يتولى إلقاءها، فيردها بعده أفراد الطاقم من عازفين وراقصين، حاملي الأعمدة الخشبية، وذلك على الإيقاع الموسيقي الخاص بـ "XOXO" . ولا بد من التذكير بأنها أساسية في هذه العروض، وبترباطها العضوي فيها مع كل من الموسيقى والرقص، وإن انتظامها مجتمعة هو الذي يحقق لهذه العروض خصوصياتها.

منذ متى كان نظم هذه الأشعار؟ ومن الذي اعتنى بنظمها بهذا الإحكام في البناء والدقة في الوزن، والولع إلى درجة الوقاحة، بما يكتنفها من لغو الكلام ومحظورة؟ وما الذي يبرر هذا الاعتناء الذي أعطى الميلاد لهذا الصنف من الأشعار التي حافظت دوماً على هويتها بين أصناف أخرى من الشعر الأمازيغي؟

تساؤلات ضمن أخرى لا نطرحها بهدف تقديم إجابات مباشرة عنها فوراً، وإنما نطرحها بغاية الإفصاح من خلالها عما ينتاب المتمتعين في أشعار "XOXO" ، ممن يتمثل الثقافة واللغة المحليتين، من مشاعر الإعجاب التي تبعث على طرحها، على أننا قد نلتقي ببعض عناصر الإجابة عنها، في غضون الفقرات الموالية والسابقة على السواء.

وفي ضوء ما أمكن جمعه منها تشترك هذه الأشعار في جملة من الخصائص التي تتميز بها، سواء من حيث شكلها أو مضمونها، عن غيرها من الأصناف المتداولة للشعر الأمازيغي. ضمن أبرز خصائصها الشكلية ما يلي:

- وحدة الوزن ونمطيته، وذلك تبعا لوحدة الإيقاع الذي يحكمها ونمطيته أيضا. إذ يبدو أن قول الشعر والتغني به متلازمان وظيفيا في التقليد الموسيقي الأمازيغي، ولا ينفصلان، وأن اللحن أو "الريح" في اصطلاح الروايس هو الذي يحدد الوزن الذي يتعين أن يكون عليه نظم الشعر، وليس العكس أي لا يكون نظم الشعر سابقا ومستقلا عن اللحن أو الألحان التي سيخضع لها لاحقا عندما يختار كمادة للغناء. ولأن موسيقى "ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ" لا تخرج عن إيقاع واحد ووحيد، وهو هو على مر الأجيال، فإن الأشعار التي تتشد، أو تبدع لتتشد في إطاره ظلت ملتزمة بمقتضيات وحدة الإيقاع هذه ونمطيته، ولا تخرج عنها⁽¹⁸⁾، وهو ما حدد إذن وحدة وزنها ونمطيته.

- وفي ارتباط بهذا الإيقاع تحددت أيضا مواصفات أخرى للأشعار المنظومة وفق الرنات التي يتألف منها، فلأنه إيقاع مرح ولاء تبعا لخصوصيات طقس "ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ" الذي أبدعه، فإنها أشعار تكاد ترقص لخفتها ومرحها، في مفرداتها وتراكيبها التي لا تكاد ترددها أو تسمعها حتى تستفزك، فتتملك الرغبة في الانخراط في الرقص الطقوسي الذي تنتظم فيه بمعية نغمات هذا الإيقاع في عروض "ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ".

- النزوع إلى التعبير عن المضامين مهما كانت مخجلة أو شاذة عن المألوف بعبارات صريحة ومباشرة مهما كانت شدة وقعها على السامع، وذلك دونما التجاء إلى اعتماد تقنيات بلاغية، كأشكال المجاز والاستعارات وأشكال التورية إلا نادرا، وهو ما تختلف فيه أشعار إمعان عن نصوصهم غير المنظومة، وعن أسلوبهم في الخطاب أثناء العروض حيث الحضور القوي لهذه التقنيات التعبيرية.

أما المضامين التي تتغنى بها هذه الأشعار فإنها فريدة، ولا تمت بصلة إلى أي من المقاصد المتداولة في الشعر الأمازيغي، حتى وإن أبانت عن ملامح لبعض منها، والأصح أنها لون مختلف ومتميز من المضامين التي لا تتحدد إلا بما يستجيب لخصوصيات "ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ"، وتقضييه أساسيات الفرجة، فتتد بذلك عن كل تصنيف جاهز خارج عنها، وإذن فإن التعرف على خصائص هذه المضامين ينبغي أن يكون من داخل هذه الأشعار ذاتها في سياقاتها، ووفق مقاصدها وخصوصياتها. وفي هذا الصدد يمكن تصنيف ما أمكن جمعه منها إلى ما يلي:

(18) الإيقاع الوحيد الذي حاولوا إدماجه في الفرجة هو إيقاع: "ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ"، وهو مستعار من غناء الروايس، كان ذلك منذ الستينيات من القرن الماضي. لكن أشعار "ⵛⵏⵏⵓⵙⵉⵖⵉ" المنظومة على وزنه لا تتعدى بضعة أبيات، لذلك ما أن يرقصوا على نغمات لحظات حتى يتخلوا عنه ليعودوا إلى إيقاعهم الخاص.

أ - مقاطع ذات مضامين نظيفة ومتداولة، غير أنا لا نكاد نجدها إلا في الأبيات التي يفتتحون بها العروض الموسيقية الرئيسية "٤٤٨٥٤٤" أو في بضعة أبيات عند جمع العطايا من المتفرجين، في لحظات متفرقة من الحفل.

فمضامين أبيات الافتتاح لا تختلف عن مثيلاتها في الأهازيج المحلية، وفي أشعار الروايس أيضا، وذلك وفق ما يقتضيه التقليد الراسخ في الثقافة المحلية عند افتتاح عرض، أو قصيد، أو حفل، أو غيرها، كالبسمة والتماس العون من الله أو من بعض أوليائه المحليين على إجادة القول، وإتقان النظم، وإصابة الحق فيه. تقول أبيات الافتتاح:

Θ٤٥٤٤ ٨٤٨٥٥ ٥ ٨٥٥	باسم الله، هيا
Θ٤٥٤٤ ٨٤٨٥٥ ٥ ٤٤٤ ٨	باسم الله هيا يا فمي
٨٤٨ ٤٤٥٥٤٤	أنشد الأشعار
٥٨ ٥٨ ٨٤٤ ٥ ٨٥٥٤	اللهم يا رب
٨ ٥٨ ٤٤٥٤ ٤ ٨٥٥٥	اجعل كلامنا مقبولا
٥ ٤٤٤٤ ٤٥٥٥ ٥ ٥٥٥ ٨	واجعل مشاعري
٥ ٨٤٥٤ ٤٤٥٥٤٤	تفيض بالأشعار
٤٥٥٨ ٥ ٥ ٤٤٤ ٤٨٨٥	اشهدوا أيها الحاضرون هنا
٤٥ ٨٤٨٥ ٨٤٥ ٥	أننا جميعا سواسية
٨٤٤ ٥ ٤٤٤ ٨٥٤	وأني لست يهوديا
٨٥٤٤٤ ٥ ٨٤٤٤٤	وإنما ألهو وأغني

غير أنه سرعان ما تنتهي فروض الافتتاح، وينتهي القول النظيف الذي يبدو أنه ليس إلا مطية للعبور إلى المضامين التي هي من صميم طقوس "٤٤٨٥٥٤"، وذلك بشكل مفاجئ، ودون سابق إنذار. فمباشرة بعد الأبيات الآنف الذكر، وفي غمرة مراسيم الافتتاح ذاتها، تأتي الأبيات التالية، وهي على شكل حوار بين الحاج وبقية طاقمه :

٨٥٥٤٤ : ٥٤٤ ٤٤ ٥٨ ٨٤٨٥٥	الحاج : هيا، هلموا اجتمعوا كلكم
٤٥ ٥٥٤ ٥ ٤٨ ٨٤٤	بماذا تريدون أن نغنى؟
٤٤٨ ٨٤٤٥ ٨٤٨ ٨٥٥	بالكلام الجميل أو القبيح
- ٨٤٤ ٨٤٤٥ ٥ ٨٥٥	جانب : نحن نريد الجميل
- ٨٤٤ ٨٥٥ ٥ ٨٥٥	جانب آخر : ونحن نريد القبيح
٨٥٥٤٤ : ٥ ٤٤٨ ٨٥٥٤ ٤٨ ٤٥٤٤	الحاج : لعن الله أمهاتكم
٥ ٤٤٨ ٨٥٥٤ ٤٤٤٤ ٤٤٤٤	الجميع : لعن الله فرج أمك

أما مضامين الأبيات التي يشدونها عند جمع العطايا فإنها لا تختلف أيضا عما يوظف منها في مثل هذه المواقف بغاية استرضاء المستهدف من الجمهور وحمله على الأداء، وذلك مثل:

سیدنا یا سیدنا کُنی ءافوس ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
میا د ریال آسیدنا ألف ریال ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
الله عیهدیک آسیدنا عیبارک فیک ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣

وهنا أيضا سرعان ما يتغير الخطاب، وتتحول المضامين بذريعة أو بأخرى إلى مضامين "𐎧𐎡𐎢𐎣" ، كأن يمتنع أحد المستهدفين أو يتأخر عن الأداء فيسمع ما لا يرضيه، أو يحرجه من تعريض وسخرية وحتى شتم أمام الملاء :

الحزقة ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
سير فحالك ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
عیوا بزاح ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
عاود عیماک ءاسیدنا ! 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣

والمجال مفتوح أمام عبقرية الحاج لإنشاء ما لا حصر له من مثل هذه الضربات التي يبادر المستهدف إلى اتقائها بأداء المطلوب منه .

ب - مقاطع من أبيات كثيرة بمضامين ليس فيها ما ينافي الأخلاق، أو يخدش الحياء، لكنها مضامين غريبة تتنافى مع مقتضيات العقل والواقع، وكلها هزل وعبث ولهو، مجسدة بما هي كذلك هذا الجانب من أساسيات الفرجة لدى "𐎧𐎡𐎢𐎣" . ومن المؤكد أن لهذه المقاطع دلالات أخرى ينبغي الكشف عنها وراء معانيها المباشرة التي تبدو كأنها لغو، وغير ذات معنى، ما عدا ما تثيره لدى المشاركين من رغبة في الإنشاد والرقص، بدقة نظمها ووزنها على الإيقاع الخاص بـ "𐎧𐎡𐎢𐎣" . وكنماذج لهذه المضامين نقدم المقاطع التالية :

في طريقي إلى هنا مررت بالسماء 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
فيها ينبث الزعتر 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
وخشب المكنسات 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
فيها الحناء وفيها المكنسات 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
وفيها نعال النساء 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣

إن كلب ءايت أوموش 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣
هو الكلب اليقظ 𐎧𐎡𐎢𐎣 𐎧𐎡𐎢𐎣

ΣΑ ΣΙΙΟ ΦΟΟΛ ΦΟΟΛ إنه لا يكف عن النباح

ΣΙΙΟ ΓΟ ΧΧΣΘ ΣΗΗΟ

ΠΗΣΑ Ι ΛΟΘΣΘΟ Λ ΣΗΗ وجدت البعوضة والخنزير

ΓΟΗΙ + ΣΠΖΟQ يتراكلان

Σ%+ + %ΚΟΙ ΟΧΓΟ ΛΟΘΣΘΟ وبضربة قوية من البعوضة

ΣΟΟΟ + Α ΗΓΟΚΟ أردت الخنزير قتيلا

ΠΗΣΑ Ι Θ%++ΧΟ وجدت الغيلم في المطبخ

Α ΗΛΟΗ Ο ΣΟΘΣΗΣΗ يغربل الطحين

ΣΧΟ Ι ΟΧΛ%Ο Ι ΧΣΧΧ% ناصبا على النار قدرا كبيرا من الجزر

ΚΟ ΣΙΛΟ ΣΓΓΣ + وهو يلتهم منه باستمرار.

ج - مقاطع من أبيات هي الأكثر عددا، والأصدق تمثيلية لشعر "ΣΓΗΓΟ"، بإيغال مضامينها في الفحش والقول الساقط الذي يخجل المرء، ليس من النطق به فحسب ولكن من سماعه أيضا، وذلك من خلال صور شعرية في منتهى الجرأة والوضوح، إلى جانب أخرى رمزية لا تقل عنها جرأة، وإفصاحا عما تواضع المجتمع على إخفائه، أو السكوت عنه، مجسدة بذلك قمة استباحة "ΣΓΗΓΟ"، وهم في غمرة الإنشاد الطقوسي، لكل ما ليس مباحا في أعراف المجتمع ومواضعه. إذ في مضامين هذا الصنف من الأشعار تتحقق المقاصد التي من أجلها كان التنكر خلف الأقنعة والأزياء، وخلف اصطنانع النطق بأمازيغية اليهود المحليين. ومن المؤكد أن قراءة النماذج التي سنقدمها من هذه الأشعار تقتضي من الجرأة، وكم الأنوف لدى القراء نفس ما اقتضاه منا تقديمها للقراء، فيما لا يخلو تداولها مع "ΣΓΗΓΟ"، وكذا الاشتغال عليها من متعة معينة. تقول هذه النماذج:

ΠΗΣΑ Ι ΓΟΚ Α +ΟΧΟ+ وجدت أملك في العراء

ΣΓΓΟ ++ %ΘΓΓΣΕ ترتعد من شدة البرد

ΗΚΣ ΚΟ ΣΦΛΟ QΘΘΣ ولم يشفق عليها أحد غيري

ΧΙΛ ΗΗΗΟ Ο Ο ΧΟΗ فنمت فوقها حتى الصباح

ΛΟ +Ο% ΘΓΓΣΘ ΣΟΟΛΟ فولدت خمسة بغال

ΚΗΗ% ΘΘΗΚΟΙΣ كلها بأبور منتصبه

٥٨ ٥٤١ + ٤٤٤*٤	ليتعاونوا على أستاذ
٨ ٤٤٤٥ ١ ٤٥٤ ٥ + ٥٤٤١	أملك إلى أن يمزقوه
٤٥٤٤٤ ١ + ٥٥٤ + ٤*٤٤	إن فرج الفتاة جميل
٤٤٤٥ + ٤٤٤٤٤٤	إنه محدود وضيق
٤٤٤٤ ٤٤٤٤ ٤٤٤٤٤٤٤٤	حصين بأقفال من حديد
٤٤٤٤ + ٤٤٤٤٤٤٤	وسلاسل وحلقات
٥٨٨ ٥ ٤٥٤ ٤٤٤٤٤	ما السبيل
٥٨ ٥٤ ٤٤٤٤٤٤ + ٥٤٤٤٤٤٤	إلى سرقة مفتاحه
٥ ٤٤٤٤ ٤٤٤٤ + ٤٤٤٤٤٤	ليعجن فيه الخروب
٤٤٤٤ ٤٤٤٤٤ ٥ ٤٤٤٤٤٤	وكذا الرمان
٤٤٤٤ ٤٤٤٤٤٤ + ٥٤٤٤٤٤٤	أما فركك أيتها العجوز
٤٤٤٤٤ ٥٤ ٥٤٤٤	فقد اتسع طولا وعرضا إلى أن اختلط باستك

د - شذرات قليلة لا يتجاوز ما تمكنا من جمعه منها بضعة عشر بيتا، منظومة بالعربية الدارجة، لا بالأمازيغية، على نفس الوزن الخاص بـ "إيمعشار"، وتبدو بما هي كذلك نشازا داخل نسيج "٤٤٤٤٤٤" بشكل عام، وفي سياق "٤٤٤٤٤٤" بشكل خاص، مضامينها مزيج من الأصناف الآنف الذكر.

هل هذه الشذرات أصيلة في فرجة "٤٤٤٤٤٤"؟ أم أنها دخيلة في سياق التطورات التي طالت مختلف آليات هذه الفرجة؟

إنها من بين ما أخذناه من النصوص المنظومة من أفواه عدد من "٤٤٤٤٤٤" الخمسينات من القرن الماضي، وهي بالإضافة إلى ذلك مازالت حاضرة، وسمعنا التغني بأبيات منها في فقرات من الدوريتين الأخيرتين، وهو ما يرجح أنها ليست مما تم إقحامه مؤخرا في هذه الفرجة. لكنه مع ذلك من الصعب أن نقول أنها أصيلة فيها كأصالة الأشعار الآنف الذكر، وذلك بالنظر إلى غريتها الموحشة فيما بينها، وأغلب الظن أنها من إضافات بعض الحجاج أو غيرهم من المولعين، وهم في غمرة الحضرة الطقوسية، بارتجال كل ما هو غريب وشاذ من الأشعار.

تقول نماذج من هذه الأشعار:

وادخلنا للوطيل ولغينا مادام موزيل
علموها تكمي كَارو علموها تكمي سبسي
واشميحا سمحوا ليها القنديل طفا ليها
والناموس والسدبان والصوبا ف الكاميل.

(19) في أسماء هذه الحقول يستعملون التقليد الشائع القائم في ثقافة المنطقة، وفي غيرها، على أسننة الواقع الطبيعي أو شخصيته، بإطلاق أسماء لأعضاء من جسم الإنسان على أماكن ومواقع معينة منه، بناء على شبه ملحوظ فيما بينها، فيسمون الحقول بأسماء تحيل على أعضاء معينة من جسد المرأة. فيما يحيل المحرّات على ذكر الرجل، وعملية الحرث على الجماع. إذ في هذا الاتجاه ينبغي فهم إصرار حاييم على حرث كل حقل صالح للحرث بدءاً بـ $^{\circ}x\theta + \theta\theta + x\theta$ أي الشعبة ذات العشب للإحالة على عانة المرأة بين فخذيهما، و $^{\circ}x\theta + \theta\theta + x\theta$ الذي يحيل على ما فوق السرة، و $^{\circ}x\theta + \theta\theta + x\theta$ أي ما بين الشدين، و $^{\circ}x\theta + \theta\theta + x\theta$ أي ما تحت الجيد وغيرها من الأماكن التي قد تكون موجودة فعلاً بهذه الأسماء، وبغيرها.

Λοϛϛϛϛϛ: ϛϛ ϛϛϛ? ∩ ϛϛϛ?

حاييم: هلا أعطينا منها لفلان؟ وفلان؟ (من فقراء المدينة).

ϛϛϛϛ: ϛϛ ∩ ϛϛ ϛϛϛ ϛϛϛϛ?

موشي: ما حاجة هؤلاء إلى الزكاة؟

ϛϛ ϛϛϛϛ ϛϛ+ ϛϛϛ.

إنهم قد ألفوا الفقر والعوز.

ϛϛ ϛϛϛϛ ∩ ϛϛϛϛϛ ϛϛϛϛ+ ϛϛϛϛ,
+ϛϛϛϛ+ ϛϛϛϛϛ, ∩ ϛϛ ϛϛϛϛϛ+ ∩ ϛϛ ϛϛ
ϛϛϛϛϛ ϛϛ ϛϛϛϛ ϛϛϛ ϛϛ ϛϛϛϛ, ϛϛ
ϛϛϛ ϛϛϛ ϛϛ ϛϛϛ ϛϛϛ ϛϛϛ ϛϛϛ ϛϛ ϛϛ
ϛϛϛ ϛϛ ϛϛϛϛ ϛϛ ϛϛϛϛ.

والآن يا حاييم، انتهيت من جمع المحاصيل وتوزيع الأعشار فها بنا إلى الاحتفال والغناء والرقص، وإلا فلا معنى لكل هذا، فمن ملكه الله شيئاً امتلكه، ومن حرمه فإنه محروم، فאלله هو المغني والمفقر.

هذا، والحوار بالشكل الذي قدمناه به في المثالين صيغة من الصيغ التي يمكن أن يقدم به، شريطة الالتزام بنفس السيناريو، وب نفس الصور البلاغية المحملة بدلالات حقيقية هي ما يفهم مباشرة من ظاهرها، ومجازية تنصرف إلى ما لا قبل لأحد بالتصريح به إلا من خلال هذه الصور، في المشهد الأول، وتعمد إلى انتقاد بعض السلوكات الشائعة في المشهد الثاني.

وهكذا ف "ϛϛϛϛϛϛ" ، وهي عملية الحرث، لا تعني سوى الممارسة الجنسية المحاطة ثقافياً بهالة من التحريمات و "ϛϛϛϛϛ" ، وهو المحراث، و "ϛϛϛϛϛϛ" ، أي العتلات الخشبية وغيرها، ليست إلا كنايةات عن الأدوات الذكورية لهذه الممارسة. و "ϛϛϛϛ" ، أي المطمورة، وكذا أسماء الحقول كلها ليست سوى كنايةات أيضاً عن الأعضاء الأنثوية التي هي أعضاء لهذه الممارسة.

ثالثا- طقوس الاختتام؛

يمثل ما تعطى الانطلاقة لمهرجان "٤٢٨٤٥٠" في غمرة طقوس افتتاحية متنوعة هي المرافقة واللاحقة لإحراق "٥٠٢٨٤٥٠" "الشعالة" وكما تعطى الانطلاقة أيضا لعروض كل حفل أو سهرة من سهراته على إيقاع طقوس أخرى هي التي تحملها الأشعار الطقوسية التي تفتتحها، يكون اختتام كل سهرة أو حفل، وكذا اختتام المهرجان كله في غمرة أطباق أخرى من الطقوس التي لا تحضر إلا في لحظات الاختتام.

أما السهرة أو الحفل فبطقوس هي امتداد لما يجري في آخر العروض التمثيلية الجماعية. وأما المهرجان ككل فبطقوس من نوع آخر هي التي ترصد لها وقائع الوليمة الطقسية التي تتوج حفلات المهرجان.

I - اختتام السهرات؛

لا ينتهي أي حفل أو سهرة من سهرات "٤٢٨٤٥٠" بشكل اعتباطي، ولا يترك الأمر في ذلك للصدفة أو للاتفاق، على غرار ما تنتهي به سهرات بعض المناسبات والمواسم المحلية، كأن يتعذر استمرارها لعياء المؤدين، أو لقلة المتلقين وغياب المتلقيات⁽²⁰⁾، أو لسبب أو لآخر وإنما تختتم السهرات عن قصد، ويتم إنهاؤها في لحظة محددة، تم الإعداد المسبق لها، في سياق نسق من الطقوس التي يفرضي السابق منها إلى اللاحق، في ترابط وظيفي محبوك يفرض بدوره إلى الطقس الموالي، ثم إلى الأخير الذي يضع النهاية لزمن الحفل، فيتوقف عنده كل شيء، وفق خطة تريدها نهاية مفاجئة، وتكاد تكون سيئة. وفي هذا الصدد يجمع من تمكنا من لقائه من شيوخ "٤٢٨٤٥٠" على أن اللحظة المختارة لإنهاء أي سهرة، تأتي في آخر العروض التمثيلية الجماعية عندما يترأس الحزان، في آخر مشهد منها، مراسيم الطقس الخاص بحمد الله وشكره على وفرة محاصيل الموسم الزراعي، وذلك بعد جمعها وتوزيع أعشارها على المحتاجين من أثرياء المدينة على النحو الذي رأيناه، فينتظم الجميع في أداء هذا المشهد، وينطلق الحزان يجأر بأدعيته المتنوعة المطالب، والغريبة أيضا، وضمناها استدراج الغيث المبكر، والتضرع إلى الله بأن يهيئ الأسباب لموسم زراعي جديد وجيد، ويأخذ المؤدون في التأمين على أدعية الحزان بترديد جماعي لكلمة آمين بطريقة مثيرة وإيقاع ساخر.

ليس في المشهد ما يؤشر على جدية المنخرطين فيه، أو ما يليق بموضوع الطقس، وما يقتضيه من حيث هو شكر وامتنان، والتماس المزيد، فأدعية الحزان كلها هزل وسخرية، وقد تكون بإلحاق

(20) يشكل حضور النساء في بعض الحفلات المحلية شرطا أساسيا لانتظامها، وكذا لاستمرارها. وتنفذ بانصرافهن عنها أي مبرر لهذا الاستمرار.

II - وليمة الاختتام:

هي الحلقة الأخيرة من مهرجان "٤٤٤٤٤٤" ، وآخر حفل من حفلاته لكنه حفل خاص بالمشاركين في أشغال الدورة، يقام على شكل نزهة أو وليمة لفائدة اللاعبين والمؤطرين والمنظمين، وذلك في أحد المنتزهات أو المزارات العامة خارج المدينة، بعيدا عن الجمهور، وعن الحوش والأقنعة والأزياء وأي من عتاد "٤٤٤٤٤٤" ، باستثناء بعض الأدوات الموسيقية التي لا غنى عن خدماتها في إحياء السهرات الخاصة التي تتخلل الوليمة.



أحد المزارات

تنظيميا تنطلق إجراءات الإعداد لهذه الأخيرة، مباشرة بعد انتهاء الحفلات العامة، أو قبلها بقليل، ويسهر عليها فريق خاص بإشراف مقتصد المجموعة أو أمين مالها، ويشمل الإعداد أساسا كل الجوانب المادية ذات الصلة بالإيواء كاختيار فضاء الوليمة، وتفقد وضعيته، وإعداد ما يلزم لإعداده فيه لاستقبال المجموعة(21)، وبالتغذية بمختلف موادها،

والأواني والأدوات، وكل المرافق اللازمة لتغطية حاجيات خمسين أو ستين مستفيدا، أو أقل أو أكثر حسب حجم كل مجموعة، وذلك طيلة مدة الوليمة التي تمتد غالبا ثلاثة أيام. أما تمويلها فهو أساسا مما يتجمع لدى أمين مال المجموعة من عائد الحفلات العامة. وقد جرى التقليد في ما أخبرنا به مسنون من قدماء "٤٤٤٤٤٤" على تنظيم حفلات الاختتام في فضاءات ذات الصبغة الدينية، فكانت مجموعة "٤٤٤٤٤٤" تولم في مزار أضرحة "إداو ماكنون"، على مسافة بضع كيلومترات غرب تيزنيت، فيما تولم مجموعة "٤٤٤٤٤٤" بمزار "لمكرونا"، على بعد بضع كيلومترات أيضا شمال غربي تيزنيت، ولما تأسست مجموعة "٤٤٤٤٤٤" اختارت مزار "لالة عكا حماد" على نفس المسافة تقريبا غرب المدينة. ودأبت المجموعات الثلاث في شبه اتفاق ترسخ بمرور السنين على الاحتفال في هذه المزارات الثلاثة، واحتفاظ كل منها بمزارها بهذا التوزيع إلى الآن.

وفيما يخص الخدمات التي يقتضيها سير الوليمة داخل المزار، فهي بتنوعها واختلافها من أداء المستفيدين أنفسهم. فكل يؤدي ما يتقنه منها بإشراف مسؤولين على أهمها، يكون ذلك في المهام المرتبطة بالتغذية إعدادا وطبخا وتقديما، وفي أعمال التنظيف والتوضيب وما إليها، كما

(21) ترميم، إصلاح، تبيض، تنظيف، وتستفيد المزارات من هذه الخدمات سنويا، دون أن تحتاج في ذلك إلى غيرها.

في المهام ذات الصلة بأداء الفرائض الدينية كالأذان وإمامة المصلين ورعاية قراءة الحزب الراتب بعد صلاتي المغرب والفجر.



طقوس الذبح

أما طقوسيا فإن مقاصد الوليمة، بما هي وليمة اختتام المهرجان هي التي تحدد العديد من الطقوس التي تزر بها، وهي طقوس تتجاوز البعد الاحتفالي الصرف إلى أبعاد دينية وأسطورية متجذرة في الثقافة المحلية. ويبدو أن حرص "xHCoO" على ختم المهرجان بهذه الوليمة إنما يروم إقامة هذه الطقوس الأخيرة قبل غيرها، وهو ما تجسده وقائع الوليمة من خلال ما يلي:

أ - تقديم ذبيحة في حجم الحدث، إذ ترصد لها كل مجموعة عجلا ذا سنتين فأكثر، على أنه قربان لدفين أو دفينة المزار، وتخضع مراسيم ذبحه لسلسلة أخرى من الطقوس التي تحضر عادة في تقاليد المنطقة عندما تكون الذبيحة قربانا جماعيا، أو أضحية أو عقيقة وما إليها، أملا ربما في أن تحظى بالقبول، إذ تقاد الدابة، وعلى رأسها غصن من الحبق أو ما شابهه، إلى مذبح المزار، في موكب طقوسي على إيقاع التردد الجماعي لدعاء: يا الله، يا الله، يا عزيز يا ربي، ويطاف بها حول مشهد المزار مرات معينة، قبل أن تلقى أرضا، مستقبلة القبلة، وترش هي وما حولها بالملح رشات معينة أيضا، وفي غمرة هذه الطقوس أيضا، يتقدم أحدهم ويسمي الله ويكبر فيذبحها، وعند انطلاق دماؤها ينطلق الحضور الذين شكلوا دائرة حولها في ترديد الصلاة الجماعية على الرسول، وذلك بصوت مرتفع ومؤثر، وتتوج مراسيم الذبح بدعوات وابتهالات يتولى التماسها ناطق باسم المجموعة، ثم بالدعاء الجماعي المتداول محليا، وتعطى بذلك الإشارة لانطلاق فعاليات الوليمة.

ب- إقامة المأدبة الدينية المدعاة محليا "⊙⊙⊙⊙" وهي طقس يروم التبرك بقراءة القرآن الكريم بأحزابه الستين في مختلف المناسبات، أفراحا كانت أو أتراحا، إذ يستقدمون لهذا

الغرض فريقا من حفظة كتاب الله أو الطلبة بالتعبير الدارج إلى مأدبة غذاء أو عشاء في المزار. وفي التقليد المحلي ينبغي ألا يقل عدد هؤلاء عن اثني عشر فردا/ طالبا، يقتسمون قراءة هذه الأحزاب، فيقرأ كل طالب خمسة منها، من ذاكرته إذا كان حافظا لها، أو من جزء يضم خمسة أحزاب أيضا مما يدعى محليا "++H0xZ" وهو عبارة عن مصحف من اثني عشر جزءا، إذ أن الغرض أساسا هو التبرك بقراءة القرآن الكريم كله، لا بقراءة أجزاء معينة منه فقط، ويشتمل طقس "++H0xZ" أيضا على القراءة الجماعية المسماة "00H0R+" وعلى أراحيز وأذكار بالإضافة إلى أمداح نبوية من بردة الإمام البوصيري وهمزيتها، وذلك بقيادة أحد أئمة المساجد، وهو هنا إمام مسجد الحي الذي تنتمي إليه المجموعة.

بعد انتهاء مراسيم إطعام هؤلاء بأفخر المأكولات يقود الإمام طقوس اختتام "00H0R+" ، وتكون عادة بقراءة جماعية لسورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، متبوعة بآذكار وأدعية جماعية أيضا، منظومة وغير منظومة، ثم تمتد الأكف إلى السماء، ويأخذ الإمام في اللهج بأدعية وتوسلات متنوعة المطالب إلى الله، وذلك بإسهاب متعمد، وحرص على ألا يسهى عن شيء أو يغفل أحدا، ويخلص بعدها إلى قراءة دعاء الاختتام الذي ينخرط معه الجميع في قراءته، وينخرطون معه أيضا في الدعاء للذين يتصدقون من الحاضرين على الطلبة بمبالغ مالية، يتسلمها الإمام كما يتسلم مبالغ أخرى من أمين مال المجموعة، لقاء قيامهم بهذه الطقوس، على أن يشرف لاحقا على توزيعها على هؤلاء وفق معايير متعارف عليها.

ليس حفل اختتام المهرجان إذن مجرد نزهة أو وليمة لمكافأة أفراد الجماعة بمآدب مما لذ وطاب من مأكّل ومشرب، وبسهرات ومسامرات ومختلف صيغ الترفيه والتسلية، لقاء ما تحملوه من عناء طيلة ليالي المهرجان، ولكنه إلى جانب ذلك، وربما قبل ذلك، حفل من الحفلات الطقوسية التي جرى التقليد على إقامتها على أضرحة بعض الأولياء وفاء بنذر، أو جلبا لمنفعة، أو درءا لأذى، وذلك لما يعتقد في هؤلاء من كرامات تؤهلهم لإسماع دعوات الداعين.

إن الوليمة بما تطفح به من طقوس ذات مرجعيات متنوعة ومألوفة في ثقافة المنطقة، أقرب ما تكون إلى وليمة التوبة والاستغفار الجماعيين.

التوبة إلى جادة الإسلام مما يمكن أن ينظر إليه على أنه زيغ عنها، أثناء تشبه "xHCoO" باليهود مظهرا وسلوكا، ولغة، ومعتقدا طيلة أيام المهرجان.

والاستغفار من ممارسة هؤلاء طيلة نفس الفترة، لأشكال من القول الساقط، وأشكال الاستخفاف بكل المواضع، بما فيها المواضع ذات المرجعية الدينية.

إن هذه المقاصد هي التي تفسر حرص "xHCoO" ، بمجموعاتهم الثلاث على تنظيم ولائم الاختتام في مزارات الأضرحة بدل المنتزهات الفسيحة وعلى إراقة دماء قرابين في حجم



رابعا : في الخاتمة

من ءيمعشار إلى كرنفال:

كل المؤاخذات التي ما فتئ المسنون من قدماء اللاعبين والمؤطرين وكذا المتفرجين يبدونها، في مختلف المناسبات، تجاه الأداءات الراهنة لإيمعشار، كانت تتجه إلى التمييز في تاريخ هؤلاء بين مرحلتين، ما فتئت اللاحقة منهما تتشكل وتزداد تمايزا عن السابقة، سواء من حيث أشكال الفرجة أو من حيث مضامينها . ذلك لأن بعض ما كانت تزخر به أداءات "xHCo" من الطقوس التي تشكل خصوصياتها قد اختفى أو هو في طريق الاختفاء، ولم تعد تلتزم به الأجيال الحاضرة،

لأنها لا تعرف عنه شيئا، فكانت لذلك مؤاخذات الشيوخ على الشبان عنيفة أحيانا، ومشوبة دائما بمشاعر الحسرة على ما اختفى من هذه الطقوس، والتخوف من اختفاء ما تبقى منها . وقد تذهب انتقادات البعض لأداءات هؤلاء بعيدا، فلا يرون لها أي صلة بأداءات "xHCo" أو أن صلتها بها شكلية أو سطحية.

هل يمكن الحديث عن ابتعاد كلي لأداءات "xHCo" اليوم عن أداءات "xHCo" الأمس كما يرى ذلك هذا البعض؟ ما هو حجم هذا الابتعاد وما مداه؟ ألا يتعلق الأمر بمجرد تطورات عادية في هذه الأداءات استجابة لما عرفته بنيات المجتمع التيزيني من تحولات على مدى عدة عقود؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات لا ينبغي أن تقوم على تعداد الصيغ والأشكال الاحتفالية التي اختفت أو كادت، وهي كثيرة، أو على انتقاد التي استحدثت بدلا عنها وهي كثيرة أيضا، واعتبار ذلك، كما يبدو للبعض، انحرافا عن خصوصيات فرجة "xHCo"، كأنما الجمود على أنماط بعينها هو الذي يجب التمسك به. إن الأمر يقتضي فحص هذه الأداءات شكلا ومضمونا، في علاقاتها بالمبادئ التي تؤسس خصوصيات هذه الفرجة، وإذن بالمعايير التي تحدد انتماء هذه الأشكال الاحتفالية أو تلك إلى أداءات "xHCo"، وعلى قدر الالتزام بتلك المعايير تتحدد علاقة هذه الأشكال، مستحدثة كانت أو قديمة، بتلك الأداءات.

لنتذكر هذه المبادئ أنها ابتغاء اللهو والهزل والسخرية من خلال أشكال احتفالية تقوم على عناصر ثلاثة هي التكرار، وتقليد اليهود، والإخلاق بالخلق العامة، وذلك كأساليب وتقنيات صارت أساسية، وخاصة بهؤلاء، يستفيدون إلى أبعد حد مما تتيحه، مجتمعة لا منفصلة، من فرص لا حصر لها لإبداع ما لا يحصى من صور ومشاهد فرجوية إمعشارية في مواضيع مختلفة.

لن نخوض في البحث عما يفسر اعتناق "ECHO" لهذه المبادئ دون غيرها، ولا عما يفرضي إليه الاشتغال وفقاً لها من تساؤلات وافتراسات، وإنما نقف عند تقرير أنها تتنظم كل أداءات "ECHO"، وهي التي تؤثر على هويتها، إذ لا يقبل في فضاء هذه الأداءات إلا الأشكال الاحتفالية التي تتنظم على هذه المبادئ وتلتزم بمقتضياتها. وبإخضاع مختلف أداءات "ECHO" الراهنة لهذه المعايير نجد أنها مازالت ملتزمة ببعض ما تمليه هذه المقتضيات، وذلك في مضامين العروض كما في أشكالها، لكنها أخذت تتخلى عن بعض آخر منها لأسباب مختلفة.

أما الالتزام فهو بكل ما يرتبط بمبدأ التكرار وما يستدعيه من أقنعة وأزياء وأكسسوارات مختلفة، إذ يمكن التأكيد على أن هذا المبدأ، بما هو أسلوب مميز لأداءات "ECHO"، قد ازداد رسوخاً في مختلف الأداءات، وازداد ولع الأجيال المتأخرة ببناء شخص موهلة في الغرابة، وابتكار تآليف وأشكال ممعنة في إخفاء وتشويه اللاعبين. ويمكن أن يكون الذي ساعد على ذلك ما يلي:

- 1 - التلازم إلى حد التماهي بين الفرجة والتكرار لدى "ECHO" كما لدى الجمهور، ومن ثم الاهتمام الزائد من اللاعبين بالتكرار وبكل ما يرتبط به، أو يتيح من إجراءات ومقتضيات.
- 2 - مظاهر الإعجاب التي يكافئ بها الجمهور، على اختلاف فئاته، ما يبتكره اللاعبون من شخص وكائنات كرنفالية.
- 3 - وفرة المواد الأولية التي تبنى منها هذه التآليف، وذلك كالأقمشة والملابس المستعملة بتنوعها وتنوع استعمالاتها، والقديم من الأواني، وبشكل خاص البلاستيكية التي أضحت منها في المتناول ما يحفز اللاعبين على تخيل المزيد من الشخص والتمثيل، سواء في مجال الأقنعة، أو في مجال الأزياء أو غيرها.
- 4 - ضعف الانتقادات التي لا تكف جهات معينة عن توجيهها إلى "ECHO" حول التكرار، مقارنة بما توجهه منها إلى هؤلاء بخصوص تقليد اليهود، وممارسة الاستخفاف بالضوابط الأخلاقية. فليس في إجراءات التكرار، على ما يبدو، مثل ما في فعل تقليد اليهود، وممارسة تحطيم المواضع الأخلاقية، من أساس بالحس الديني والأخلاقي الذي هو الخلفية التي تصدر عنها تلك الجهات.

أما ما أخذ يختفي مؤخراً في عروض "ECHO" فهو الأداء الذي يلتزم بمقتضيات هذين المبدأين الأخيرين، أي تقليد اليهود، أو تحول اللاعب مؤقتاً إلى يهودي في كلامه وجميع تصرفاته، والتحلل مؤقتاً أيضاً، من القيم الأخلاقية التي تواضع المجتمع على تقديمها.

1 - ففيما يخص تقليد اليهود تراجعت، بشكل ملموس، وتيرة استحضار أساليبهم في الحديث، وفي مختلف الممارسات أثناء العروض، وأخذت أداءات "٤٢٨٢٥٠" المتأخرة تتخلّى، بشكل متفاوت، عن بعض مظاهر الطابع اليهودي سواء في أشكالها أو في مضامينها.

- فمن حيث أشكالها تراجع هذا الطابع في أقتعة وأزياء اللاعبين، وكذا في مختلف الأكسيسوارات والأدوات التي يشتغلون بها أو عليها، فلم يعد هؤلاء يصدرون في صنعها وإعدادها عن نماذج مستقاة من اليهود كما هم في ملاح المدينة وأسواقها وكنيسها كما كان يصدر عن ذلك "٤٢٨٢٥٠" الأمس، وإنما اتجاه "٤٢٨٢٥٠" اليوم إلى ممارسة اللهو والهزل في بعدهما الكرنفالي، بالتركيز على فعل التكرار، بما هو تقنية للإخفاء بشكل عام، يتعاطون من خلالها لشخص كرنفالية في منتهى الذمامة، تحيل على نماذج لا وجود لها، قد تكون بأعضاء وملاح لبعض الحيوانات، ولا صلة لها بالكائنات الإنسانية من يهود وغير اليهود.



- أما من حيث المضامين فإن تقليد اليهود في أدائها مازال حاضرا والذي أخذ في التراجع هو إتقان ممارسته. إذ أن الخلف من اللاعبين لا يتقنونه كما يتقنه اللاعبون السلف، فتراجع لذلك ما كان يضفيه هذا التقليد من إمتاع وتميز على فرجة "٤٢٨٢٥٠"، إذ اختفت أدعية الحزان وابتهاالاته عندما يؤم الصلوات، باختفاء هذه الأخيرة ذاتها، واختفت الطقوس التي تقترن بتشخيص مشاهد من انخراط اليهود في عمليات الحرث والحصاد والدراس وغيرها، باختفاء هذه التشخيصات ذاتها، وربما باختفاء ما تحيل عليه في الواقع أيضا، وأخذ الطابع اليهودي للإنشاد، وكذا استظهار النصوص المنظومة ذات الصلة في التراجع دورة بعد أخرى.

على أن الإمعان في استعراض ما اختفى من هذه الطقوس وما لازال حاضرا، إن بشكل كلي أو جزئي، لا ينبغي أن يؤخذ على أنه تنقيص من أداءات "٤٢٨٢٥٠" اليوم، فالأمر يتعلق بجانب من التغيرات أو التطورات التي عرفتها أداءات "٤٢٨٢٥٠" بشكل عام، وذلك في إطار خصوصياتها ذاتها. وهي تغيرات تجد تفسيرها في ما طال المجتمع المحلي من تحولات ذات تأثير مباشر على الطابع اليهودي لهذه الأداءات، أهمها:

- رحيل اليهود عن المدينة وعن المنطقة برمتها، وإذن جهل الأجيال اللاحقة لكل شيء عن لهجة وتقاليده هؤلاء وكذا عن طقوسهم ومختلف ممارساتهم، التي كانت الأجيال السابقة، بحكم

الجوار والمخالطة المباشرة، تعرف عنها كل شيء، فكان في إمكانها لذلك إتقان تقليدهم فيها، إيجاباً أو سلباً، وهو ما لم يكن متاحاً لأجيال ما بعد الستينيات من القرن الماضي إلا بتقليد التقليد، أي تقليد ممارسات اليهود من خلال تقليد قدماء "EHCeO" لها.

- تغير الصورة التي كانت لليهودي في ذاكرة الثقافة المحلية، من كائن بمواصفات تقدمه موضوعاً خصباً بما يحمل على تقليده مظهرها وسلوكها لخلق الفرجة وإمتاع الجمهور، إلى كائن أضحى متخلصاً من هذه المواصفات، فقضى بذلك على أي مبرر لاتخاذ موضوعاً لمثل هذه الأشكال من التقليد.

هذه التحولات ساهمت بشكل أساسي إلى جانب غيرها، في تراجع المظهر اليهودي لبعض أداءات "EHCeO" اليوم وليس كلها، وذلك لا عن جهل بموقع تقليد اليهود في فرجة "EHCeO"، وإنما عن جهل بتقنيات ممارسة هذا التقليد.

2 - أما فيما يخص مبدأ الإخلال بالأخلاق العامة فإن مظاهره الحركية قد صارت في خبر كان باختفاء المجسمات التي كانت مقترنة بها كمجسمي الحمار والبغل بشكل خاص، فيما استمرت ممارسته في مظاهره الكلامية، سواء في الإنشاد، أو في الأداءات الفردية والثنائية، كما في التشخيصات المستحدثة، وذلك مع تراجع ملحوظ في إتقان ممارسته في مجال التلاعب بالألفاظ، وإنشاء الصور البلاغية المزدوجة، أو المتعددة الدلالات، كالتي تزخر بها أداءات "EHCeO" القديمة، ويذكر في ذات السياق أن المجسمات المستحدثة مؤخرًا كالديناصور والزرافة والحمار الوحشي خالية تماماً مما له علاقة بهذا المبدأ، وأن استحداثها ليس بناءً على ما تتيحه من فرص لممارسة بذيء القول كما هو الأمر في المجسمات الكلاسيكية، وإنما بناءً على مظاهرها الكرنفالية المثيرة.

على أن الحدث الذي فرضت تداعياته التمييز بين مرحلتين في أداءات "EHCeO" هو إجراء المنع الذي طال احتفالات هؤلاء واستمر عدة سنوات كانت كافية للتأثير سلباً على استمرارية البعض من مواصفات وخصوصيات هذه الاحتفالات. ومع أن جيل السبعينيات الذي أنيطت به مهمة استئنافها قد استطاع إعادة رسم ملامحها وفق خصوصيات "EHCeO" الأساسية، إلا أن أشكال ومضامين منها قد طالها النسيان، ولم تعد للظهور ضمن أشكال ومضامين المرحلة اللاحقة، وذلك كالمجسمات وأداءاتها باستثناء مجسم الجمل، وتشخيص العمليات المرتبطة بالأنشطة الفلاحية التقليدية وكالطابع اليهودي الأنف الذكر ذاته، وغير ذلك مما لم تعد تعرف عنه الأجيال اللاحقة شيئاً من جراء ذلك التوقيف، بالإضافة إلى أن ما كانت تحيل عليه من أنشطة وممارسات لم يعد ماثلاً في الواقع من جراء التطورات التي لحقت بنيات المجتمع المحلي.

ومقابل ذلك ظهرت أشكال احتفالية أخرى جديدة ومتنوعة بطقوسها ومراسيمها، وبشكل خاص في إطار عروض الطاقم المتجول حيث تعددت التشخيصات التي تحيل على ما استجد في هذا المجتمع من ممارسات ومفارقات على نحو ما رأيناه أنفاً، وذلك بتعدد العناصر التي أصبحت تشتغل داخل هذا الطاقم، وتنوع الأداءات التي تدمجها، أو تقترح تقديمها في عروض هذه الدورة أو تلك. إلا أن تداعيات هذا التوقيف، وإملاءات التحولات الاجتماعية كان لها تأثيرها البين في اختفاء أو تراجع المظاهر الأنفة الذكر، وصرف اهتمام اللاعبين عنها إلى التركيز أكثر فأكثر على البعد الكرنفالي لفرجة "xCHCo"، وهو ما يستوجب تنظيم حلقات تكوينية نظرية وتطبيقية تذكر اللاعبين الجدد بالمقومات والأساسيات التي تنظم حولها طقوس الفرجة لدى "xCHCo"، وتميزها عن مجرد أداءات كرنفالية.



ملاحق

I - النصوص:

ونحن بصدد تقديم هذه النصوص تجاذبتنا قناعتان:

قناعة بأن ما من أجله نقدمها، وهو التعريف بتفرداها وخصوصياتها، لا يتأتى إلا من خلال معانقتها في لغتها وأساليبها البلاغية الخاصة، وكذا في مناخها الثقافي، وسياقاتها الفرجوية المتنوعة. وإذن فإن أي ترجمة لها، ككل ترجمة، لن يكون بإمكانها، مهما تحرت الأمانة، نقل ما يؤكد تفرداها ذاك إلى القارئ، فكان واردا لذلك تقديمها كما هي في لغتها الأمازيغية، دون أي تعريب، لاسيما وأن أي تعامل جاد معها لاحقا، كلما كان من داخلها، وبلغتها، كان أجدر بفهمها مما إذا كان من خارجها أو بواسطة لسان غير لسانها.

أما القناعة الأخرى فتتمثل في أن تعريب هذه النصوص، لا يخلو مع ذلك من فائدة للقراء بالعربية، على الأقل في التعرف على نوعية مضامينها وتوجهاتها وبعض ما يميزها عن غيرها من النصوص التي تتشد في أهازيج وفرجات شعبية أخرى، خاصة وأن التعريب هو الإمكانية الوحيدة المتاحة راهنا في هذا الصدد. غير أن ما تحمله مقاطع كثيرة منها، وبشكل خاص ما ترمز إليه من مضامين موهلة في الارتباط بالثقافة الشعبية المحلية يبدو متمنعا عن أي تعريب، ولا يستقيم أدأؤه إلا بالأمازيغية.

لهذا وذاك، ارتأينا فيما يلي تعريب ما ينقاد منها إلى التعريب مع إرفاقه بشروحات وإحالات كلما بدا لنا ذلك مفيدا، وتقديم ما يتمتع منها عن أي تعريب كما هو في لغته الأمازيغية.

هذا، ونكرر تنبيه القارئ الكريم إلى ما يطبع مقاطع كثيرة من هذه النصوص من جرأة في القول، موهلة في الوقاحة، يتعين معها اتخاذ الحيطة اللازمة، وامتلاك جرأة أدبية عند الإقدام على قراءتها أو على أي تعامل معها.

1 - نصوص معربة:

Θεοῦ ἡμεῖς	باسم الله، هيا نبدأ
Θεοῦ ἡμεῖς	باسم الله هيا يا فمي
ἡμεῖς	أنشد الأشعار
ὁ ἡμεῖς	اللهم يا رب
ἡμεῖς	اجعل كلامنا مقبولا
ὁ ἡμεῖς	واجعل مشاعري
ὁ ἡμεῖς	تفيض بالأشعار
ὁ ἡμεῖς	نستأذنكم يا أهل هذا المكان
ἡμεῖς	في أن نحل عندكم ضيوفا
ἡμεῖς	اشهدوا أيها الحاضرون هنا

أنا جميعا سواسية
وأنني لست يهوديا
وإنما ألهو وأغني

[illegible][illegible][illegible]

بارك الله في بقرة فاضمة بنت يحيى
لقد أعطتنا من السمن ما ملأنا به صدفه الحلزون.

بارك الله في شجر الأركان لقد أثمر الكثير من الحبوب
سننزع عنها القشرة ونمتص النواة.

ما أوفر المحاصيل الزراعية
لم نجد لخزنها إلا حرة كبيرة

قل لي يا سيدي الفقيه
ما دواء المرأة التي تلحس الصحن
والمغرب وتلحس القدر

○ E E . H Θ . ○ Δ Λ Σ . ○ ○ ○ H H R
 Σ % C . + ○ M H Δ C +
 C V Z . ○ X Δ ○ Σ X Δ I % Θ R . Δ
 ○ ○ Σ R R . + ○ + C Y Δ H +

يا سيدي الفقيه إن أستاذك كبير
 إنه يتسع للبصلة
 ويتسع لأن ينام فيه الكلب
 ويصبص فيه بذيله

L . C C . Z . O A Δ Λ . X X ' . X ' . C . O
 Σ L Δ I + ○ M M Σ H +
 Σ . ○ Δ % H H H % Θ H H Δ . E
 Σ A Σ Y H Δ A % M O
 + . ○ Δ + C % C C . + Δ A O Δ O Δ Δ Δ I Δ I ○ % Y O A .
 + . ○ Δ + C Σ H H . + . Y Q Δ E + . ○ Δ + Δ Z I A O +

التقيت بإيدا كَازَمار⁽¹⁾
 في موكب تقديم الهدية
 وتكلف الديك بالصياح
 عندما يصعد فوق السطوح
 وأخذت القطة ترقص رقصات التريص بالفأر
 وتكلف اليمامة بالزغاريد وكذا السحلية

L . C C . Z . Q A Δ X H X Δ M
 ○ O Δ . H H . ○ Δ I Δ + Δ E E
 H Δ A . ○ C . R Δ O Θ . H H A . Δ X H C C % O O A ?
 Σ H . + % E H Δ + . X Δ X Δ
 Δ % H H I + Δ L . H H Δ I

التقيت بالخنفس
 يبكي بكاء شديدا
 سألته ما الذي يبكيك يا غليظ الرأس؟
 قال: إن النملة هي التي
 نظرت إلي من عينيها الجميلتين

% H Δ A H L . Θ Δ Θ . A H X C Δ ○ Δ ○ % H H . Q . C
 Δ . X H + ○ % C M M % Y
 ○ O + Δ + + . M % A % E . Q

وجدت البعوضة في السوق وقد نفخت الجمل
 وعلقتة في أذنه
 وأخذت تسلخه من رجله

% H Δ A H Θ % + + X O . A % L . H
 ○ O Δ ○ ○ Δ H Δ H
 Δ X . H Δ X A % O I X Δ M M %
 R O . Δ L A Δ Δ C C Δ +
 Δ V Z I + % Q M Δ Δ Δ I
 Δ X . O R % R % A % C H H Δ Z

وجدت الغيلم في المطبخ
 يغريل الطحين
 ونصب قدرا كبيرا لطبخ الجزر
 ويلتهم بنهم كل ما طبخ منه
 وانتعل نعاله
 ووضع الحساء داخل جيبه

% H Δ A H L . Θ Δ Θ . A Δ H H
 C C . Y I + Δ V Z . O
 Δ % + + % R A . X ' C . L . Θ Δ Θ .
 Δ ○ ○ ○ + A H C . R A

وجدت البعوضة والخنزير
 يتراكلان
 وبضربة واحدة أردته البعوضة
 قتيلا في الحال .

(1) اسم لإحدى العائلات المحلية .

أيهما الديك ذا الأنياب
هيا ضع بيضك
تتولى عائشة أحمد تقديمه
للفقيه⁽²⁾
ليصنع منه هذا الأخير
«.....»

إن ديك أيت القايد
ذا الأنياب
قد التهم كسكس دادا فاتح
كله عن آخره

كم تتقن الجري أيها الديك
عندما ترى عائشة تدخل الحظيرة⁽³⁾
كم تتقن الجري أيها الديك
عندما ترى كومات البراز داخل الحظيرة.

أيها الديك يا ابن الديك
انشغل عنا بما يعنيك
وإلا تعاونا على شرائك
وذبحناك.

هيا اعزفوا على القراقب للدجاجة
لكي تفقس الكتاكيت
لتلتهم حبوب الذرة كلها
دون أن تترك فيها بقية.

إن لالة يامنة همو هي كالكلبة
التي ضربها الخراز فأغمي عليها
فراح يسقيها من الماء الذي يستعمله لجلود النعال
والعياذ بالله.

مرحبا بك يا لالة يامنة همو
لتأكلي ثمار التين

(2) المعنى المجازي لتقديم عائشة أحمد البيض للفقيه هو تقديم نفسها لهذا الأخير

(3) قديما يكون قضاء الحاجات الإنسانية من تبول وتغوط، لا في المراحيض، وإنما في الحظائر. وجري الديك وراء عائشة عندما تدخل إلى الحظيرة هو من أجل ألا يسبقه أحد إلى برازها.

٤٤٤. +٨٤٤٤٤ ٨ ٤٤٤ ٨٨٨. +٨ +٨٤٤+
 ٤٨. +٨ ٨ ٨٨٨٨
 ٤ ٤٤٤٤٨ ٨٨٨٨٨٨
 ٨. ٨٤٤ +٤٤٤٤٤ ٨ ٨٨٨. ٤٤٨. + ٨٤٤

أما الشعير فليس في الإمكان تقديمه إليك
 فقد احتفظ به السيد بولحروز
 للحمير ذوي الأيور المنتصبه
 التي ستتوالى على دبر أمك إلى أن تمزقه.

٨. ٤٤٤ ٨ ٨٨٨٨٨٨
 ٨ ٨٨٨٨٨ ٤٨٨٨٨٨
 ٤٨ ٨٨٨ ٨ ٨٨٨٨٨٨
 ٨ ٨٨ ٤٤٤ ٨٨٨٨٨٨

إن موشي و حاييم
 بازان أحدهما بجانب الآخر
 إن ظفرا بعجل مّا
 لن يرى الحياة أبدا .

٨. ٨٤٤٤ ٨ ٤٤٤٤٨٨٨
 ٨ ٨٤٤٨ ٨٤٤٨٨٨
 ٨ ٤٤٨ ٤٨٨٨ ٨٨٨٨
 +٨٨٨٨٨٨ ٨ ٤٤٨ ٨٨٨٨

إن الفرج الذي لا ينظف
 بالماء الساخن
 غير جدير إلا بالطعن في الأعماق
 بمدية لا مقبض لها .

٨. +٨٨ +٨٨٨ ٨٨٨٨٨ ٤٤٨٨٨٨
 ٤٤٨٨٨. ٨ ٨٨٨٨٨ (٨٨٨٨٨٨٨) ٤٤٨٨ +٨٨٨٨

إن الأمة السوداء قد ولدت خنفسا صغيرا معوجا
 علينا توشيح صدره بخلال كبير (بفأس كبير).

٨٨٨٨٨. ٤٤٨. ٨٨٨٨
 ٤٨. ٤٤٤٤ + ٨٨

إن أباك لقيط
 وأملك هي التي قالت ذلك.

٤٤٨٨ ٨٨٨٨ +٨٨٨٨٨
 ٨ ٤٤٤٨٨ ٨ +٤٤٨٨٨

أخذ الهر بذيل الهرة
 وراح يمحضها .

٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨
 ٤٤٨ ٨٨٨٨ ٤٤٨٨٨ ٨٨٨٨٨

إنه زوج للا رحمة
 بات في فراشها وتغوط فيه .

٤٤٨. ٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨
 ٨ +٨٨٨٨٨ ٤٤٨٨٨٨٨

إن البارود حبوب
 لكنه يفجر الصخور .

٤٤٨. ٤٤٤٤ +٨٨٨٨٨
 ٤٤٨ ٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨٨
 ٤٤٨ ٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨٨
 ٤٤٨٨ ٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨٨٨٨
 ٤٤٨٨ ٨٨٨٨٨ ٨٨٨٨٨٨٨
 ٤٤٨٨٨ + ٤٨٨ ٨٨٨٨٨٨

شيد موشي غرفة
 وبني فوقها غرفة أكبر
 وشيد فوق هذه ممرا
 وصعد فوقه الديك
 وتبرز فوقه
 وهدمها كلها .

تذكر فعلتك أيها الذئب
لقد رآك الكلب
صعد الذئب إلى أعلى أحد الجبال
وأخذ يعوي هناك
وشيد غرفة فوق داره
وبنى بها دارا للضيوف
وأخذ يعزف على الناي
وأخذت الكلاب ترقص.

إن تاداخلت هي التي قالت
ضاع مني شربيلي
من وجده فليأت به إلي
وسأجازيه بما هو حلال
داخل كوخ سيدي مكحول

تاراخوت هي التي قالت
هيا اركض يا بغلي
إلى حيث مبيتنا
إلى الغرفة التي فوق الوادي
كم تم جلدنا داخلها
لكن بقضيب النعناع فقط

تاراخوت هي التي قالت
هيا يا محمد أو عمار
أضف حلويات إلى الشاي
أنا لا أشرب إلا الشاي الجيد

تاراخوت هي التي قالت
ليشي كنت حبوب الشاي
فتحملني الجمال
ويتاجر بي عمر
ولتكن في ذلك نهايتي

تأراخوت هي التي قالت
أيها الراكب على الجمل
قل لي ما الذي تحمله
إن كان ملحا
فحول طريقك عنا
وإن كان حديدا
أثقل الله به جسمك
وإن كان حناء
ففعال نساعدك على إنزاله .

زوجات سيدي صايو
 ذي الأفراس الثلاثة
 ثمن إحداها مائة
 وثمان الأخرى باهظ
 وثمان الأخرى خمسة عشر.

هيا ساعدوا سيدي عبو
ساعدوه لينصرف إلى
حيث نصب نفايات المجزرة.

إذا مات الثعبان
فإن حليمة قد ولدت اثنين.

إن الكلب اليقظ هو كلب آيت وحموش
أنه لا يكف عن النباح

إننا في حاجة ماسة
إلى دحش عديم الذيل.
إننا في حاجة إلى الزيت
لندهن به وحية بداز.

اغشنا يا رب بالمطار
فالشعير والقمح أفضل من أجود التمور
والتمر أفضل من عظامه
والله رؤوف رحيم.

نشر دا أحمد ما جناه من بصل
وصعد فوقه الديك
إن ماماس هي التي رآته
وأخذت تضربه بقضيب من قصب.

رقد الأعمى في ضوء القمر
ولما استيقظ وقام كسر الموقد
وصنع لجذته سلة
فلما صعدت إلى السماوات
قالت له أريد أن أنزل.

وجدت أمك في العراء
ترتعد من شدة البرد
ولم يشفق عليها أحد غيري
فنمت فوقها حتى الصباح
فولدت خمسة بغال
كلها بأيور منتصبه
لتنوالى على دبر أمك
إلى أن تمزقه

إن فرج الفتاة جميل
إنه محدود وضيق
وحصين بأفقال من حديد
وبسلاسل
ما السبيل إلى سرقة مفتاحه
لنعجن فيه الخروب
وكذا الرمان
أما فرجك أيتها العجوز
فقد اتسع طولاً وعرضاً إلى أن اختلط بدبرك

✱◡◡ ◡◡ ◡◡◡ | +٢QΣE

◡ R◡ ◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ

◡ ◡◡◡◡ Σ◡◡ ◡◡◡◡◡

◡◡ ◡◡◡ ◡◡ ◡ Σ◡◡

◡◡Σ +◡٢QΣE ◡+ Q◡◡Σ

◡ ✱+◡◡◡Σ ++ Σ++◡◡Σ

◡◡ ◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡◡◡

◡◡◡◡ Σ◡◡◡◡

◡◡◡ ◡◡ Σ◡◡

E◡◡◡◡ ◡◡◡◡◡ ◡◡◡+◡◡

◡◡ ◡ Σ◡

◡◡◡◡◡ Σ◡◡◡ ◡E◡◡ Σ ◡◡◡◡

◡◡ ◡ Σ◡ ◡◡◡◡◡

◡ Σ +◡◡◡◡ +Σ◡◡◡◡

مزيدا منها يا صاحبة الزغاريد

لا يلاك الله

بزوج متسكع

لا يأوي ليلا إليك

مزيدا منها

يا صاحبة الزغاريد

جزاك الله عنها في الجنة

بأربعة أطفال

على أن يكون اثنين منهم

فقيهين عالمين

ويكون واحد منهم

فلاحا يحرق الأرض

والآخر خرازا

يصنع النعال.

◡◡ ◡Σ◡◡ ◡◡◡

| ◡◡◡◡ ◡◡◡ ◡◡◡◡◡◡◡

◡ +◡+ ◡◡◡◡◡ | ✱Σ◡◡◡

+◡◡ ◡◡◡◡◡ ◡◡◡

إن عائشة بنت أحمد

بنت دادا أحمد بن محمد

قد التهمت ملء قدر من الجزر

وشربت بعده كمية من الماء.

2 - نصوص غير معربة:

◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡ ◡◡◡◡◡

◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡ Σ◡◡◡◡

◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡ Σ◡◡◡◡

◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡ ◡◡◡◡◡

◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡ ◡◡◡◡◡

◡◡ Σ◡◡ Q◡◡Σ ◡ ◡◡◡◡◡

◡ ◡◡◡◡ ◡◡ ◡◡◡◡

◡◡ ◡◡ ◡ ◡◡◡◡ ◡◡

◡◡◡◡◡ ◡ Σ◡Σ

◡◡◡◡◡ Σ◡◡◡◡

◡◡◡◡◡ ◡ Σ◡Σ

◡◡◡◡◡ | Σ◡Σ◡◡

◡◡◡◡◡ ◡ Σ◡Σ

◡◡◡◡ ◡◡◡◡◡

ۛ ۛۛۛ ۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛۛۛۛۛۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛ ۛ ۛۛۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛۛۛ

ۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛۛ ۛ ۛ ۛۛۛۛ

ۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛ ۛۛۛۛ ۛۛ

ۛۛۛ ۛ ۛۛۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛ ۛ ۛۛۛ ۛۛۛ
 ۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛ ۛۛۛۛ ۛۛۛۛۛۛ

ۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛ ۛۛۛۛۛ ۛ ۛۛ
 ۛۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ

ۛ ۛۛ ۛۛۛۛ ۛۛ ۛ
 ۛۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ

ۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛ ۛۛۛۛ ۛۛ
 ۛۛ ۛۛۛۛۛ ۛۛۛۛۛ
 ۛ ۛ ۛۛ
 ۛۛۛۛۛ ۛۛۛ
 ۛ ۛۛۛۛ

ۛ ۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛۛ
 ۛۛۛۛ ۛۛ ۛ
 ۛ ۛۛ ۛۛۛۛۛ ۛۛۛ
 ۛۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛۛ ۛۛۛۛۛ ۛ ۛۛۛۛ
 ۛۛ ۛ ۛۛۛۛ

۱۱. +۸۸۸۸۸۸۸۸ + ۱ ۱۱۱۱۱
 ۱۱ ۸ ۸۸۸۸ ۸۸۸۸۸۸ ۱۱۱۱۱
 ۱۱ ۱۱۱۱ ۸۸۸۸۸۸
 ۱۱ ۸۸۸۸ ۱۱۱۱ ۸۸۸۸۸۸

۱۱. +۸۸۸۸۸۸۸۸ + ۱۱۱۱۱۱۱
 ۱ ۸ ۱۱۱۱۱۱
 ۱ ۸۸۸ ۸۸۸۸ ۱۱۱۱
 ۱ ۱۱۱۱۱ ۱ ۱۱۱۱۱

۱۱۱۱۱۱۱۱۱۱ ۸ ۸۸۸۸
 ۱ ۸۸۸ ۸۸۸۸۸ ۱۱۱۱۱۱
 ۱ ۸۸۸۸۸ ۱۱۱۱
 ۸۸۸۸ ۱۱۱۱۱۱ ۱۱۱۱۱
 ۸۸ ۱۱ + ۸۸۸۸۸۸
 ۱۱ ۸۸۸ ۸۸۸۸۸ ۸۸۸۸

۱۱۱۱۱۱ + ۸ ۱۱۱۱۱ ۸ ۸۸۸
 ۸۸ + ۸۸. ۸۸۸۸ ۸ ۱۱۱
 ۸۸۸ ۱۱۱۱ ۱۱۱۱۱۱
 ۸۸۸ ۱۱۱۱۱ ۸ ۸۸۸۸
 ۸۸ + ۱۱۱۱۱ ۸۸۸۸
 ۸۸۸۸ ۸۸۸۸ ۱۱۱۱
 ۸۸۸ ۸۸۸ + ۸۸۸۸۸

۱۱. +۸۸۸۸ + ۸ ۸۸۸۸
 ۱۱۱۱۱۱ ۸ ۸۸۸۸

۱ ۸۸ + ۱۱۱۱ ۱ ۱۱۱۱
 ۱۱۱۱ + ۱۱ ۱۱۱۱ + ۱۱
 ۱ ۱۱۱۱۱۱ + ۸۸۸
 ۱۱۱۱ + ۱۱ ۱۱۱۱ + ۱۱

۸۸۸۸ ۱۱۱ ۱۱۱۱۱
 ۸۸۸۸ + ۸۸۸۸۸ ۱۱۱
 ۸۸۸ + ۸۸ ۱۱۱۱

۱۱۱۱۱ ۱۱۱۱ ۱۱۱۱
 ۱۱ + ۱۱۱ ۱۱۱۱۱

ΣΕΕ.Ε* %X*%O oXXlo

ΠΠ.Υ.Ε ΣΘΘΣ ΧΣΘ

Σ++o.Ε* %ΘΘΘ% ΣΧΗ

%ΕΖΖ% ΣΘΘΣ ΧΣΘ

Σ++o.Ε* %ΘΘΘ% o.ΑQ.Θ

Α +o.Ε. ΣΧQ.Ε

Σ++o.Ε* %ΑΔΔ.Θ. Q.Θ.Θ

Θ.Θ. +ΣΑΔΔ.Θ.Θ

Σ++o.Ε* %ΑΟΟ.Μ +ΣΟΥΣ

Α ΣΧΣ Π.Π.Ε.+

Σ++o.Ε* %ΗQ.ΕΣΧ

Η.Ο. ΚΣQ. ΕΣQ. ΕΜ.Λ.

Τ.Λ.Λ.Χ.Π. + o.Λ. o.Θ. ΣΠ.Ι

Δ.Ι. Λ.Λ.Λ. Κ. Λ.Ο.Σ. ΣΠ.Π.Ι

ΣΜ.Λ.Σ. Θ.Λ.Λ. Φ. Π.Θ.+

Μ.Ι.Λ. ΚΚΣ. Κ. Λ.Ο. o.Ε.Θ

ΣΧ.Ι.Σ. | ΘΘ.++ ΘΘ.++

Σ++o.Μ.Π.Ι. Α. Π.Π.Π.Π.

3 - مقاطع بالعربية الدارجة

دخلنا للوطيل	ولكننا مادام موزيل
علموها تكمي كنارو	علموها تكمي سبسي
وشميحة سمحو ليها	لقنديل طفا ليها
وناموس ودبان	وصوبا فلكاميل
واحمامة يا بياضا	واحمامت مولاي علي بلعياشي
هاديك لحمامة لسي	فونك سطات خافت لغاشي
ضربها موشي بلكابوس	مازكنها لهاشي
عندي فركاتا اسيدنا	عندي فركاتا
ولقهاوا لبانيا	وشفنجة وشعيريا
ودلاح لمنقرشي	وكرعا تعمل كرشبي.

صور من بعض العروض



طبلتون وعازفون على الدفوف



مقدمة الطاقم الموسيقي



مجسم الزرافة المستحدث مؤخرًا



من الطبالين



عرض موسیقي راقص



مجسم الجمل ذي الذروتين



مجسم الديناصور



في الطريق إلى ميدان الجمل



ذو الأعمدة الخشبية يتأهبون للانخراط في العرض

ببليوغرافيا

كتب :

ابن تميم، علي: السرد والظاهرة الدرامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003.

أديوان محمد : الثقافة الشعبية المغربية "الذاكرة والمجال والمجتمع" مطبعة سلمى الرباط، 2002.

أمير، عمر: الشعر المغربي الأمازيغي، دار الكتاب، البيضاء، 1975.

أمير، عمر: رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام، مكتبة دار السلام، الرباط 2003.

أمير، عمر: الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب، ط. 1، مطبعة التيسير، الدار البيضاء 1987.

أمنون، مولاي محمد: كشف خبايا وأسرار الجنوب، في ظل التسلط الإقطاعي المتستر، إيفران الأطلس الصغير نموذجا، طبعة أولى 2002.

تاويت، محمد، وعفيفي محمد الصادق: الأدب المغربي. دار الكتاب اللبناني 1960.

الزحيلي، محمد: وهبة التفسير المنير، ج. 9، دار الفكر المعاصر، بيروت 1991.

الزعفراني، حاييم: يهود المغرب والأندلس، ترجمة: أحمد شحلان، مرسوم الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 2000.

السوسي، محمد المختار: سوس العالمة الطبعة الثانية البيضاء، 1984.

السوسي، محمد المختار: خلال جزولة تطوان المغرب د. ت.

السوسي، محمد المختار: المعسول، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1960.

شاك، عبد الحميد: العملية الإبداعية "في فن التصوير" عدد 109 يناير، 1987.

علي، أحمد محمد: الكوميديا والتراجيديا، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 18، يونيو 1979.

غيورغي، غاتشف: الوعي والفن: ترجمة: نوفل نيوف، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 146 فبراير 1990.

الفاسي، محمد بن أحمد: "ميارة" شرح منظومة ابن عاشر، بحاشية العلامة ابن عبد

الله محمد الطالب مسلم، الإمام: مختصر صحيح مسلم. تحقيق محمد ناصر الدين

الألباني طبعة سادسة 1988.

البخاري محمد بن اسماعيل : صحيح البخاري، دار الجليل د. ت.

- مالكا، إيلي:** العوائد اليهودية بالمغرب " من المهد إلى اللحد ". نشر الملتقى، الطبعة الثانية، 2003.
- المرغتي، محمد بن سعيد:** المطلع على مسائل المقنع، تحقيق: صالح بن عبد الله الإلغي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1999.
- ناصر، مصطفى:** اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 193، يناير عام 1995.
- روشكا، الكسندر:** الإبداع العام والخاص، ترجمة: غسان عبد الحى أبو فخر، سلسلة عالم المعرفة عدد: 144 يناير 1990.
- ناصر، علي منصور:** التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. ج 2، دار الفكر، 1981.
- الهاشمي، السيد أحمد مختار:** الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، دار الفكر، بيروت، 1995.
- القرضاوي، يوسف:** فقه الزكاة. ج: 1، دار المعرفة، البيضاء، د.ت.
- الهند، مولاي المصطفى:** قضية مس الجن للإنس في الفكر الإسلامي، بين الحقيقة والوهم الطبعة الأولى. 2004.
- واعراب، مصطفى:** المعتقدات السحرية بالمغرب، منشورات "الأحداث المغربية". 2003.
- المنيعي، حسن:** - الجسد في المسرح، - "إعداد وترجمة" مطبعة سندي، مكناس 1996.
- أبحاث في المسرح المغربي، منشورات الزمن - مطبعة النجاح - البيضاء 2001.
- يوسفي، حسن:** المسرح والأنثروبولوجيا، دار الثقافة البيضاء. 2000. 2002.

مقالات:

- ابريكا محمد:** "الوجه والقناع في ثقافتنا الشعبية"، ضمن منشورات الجامعة الصيفية بأكادير، أعمال الدورة الأولى عام 1980. ص ص. 203-224.
- أبو زيد، أحمد:** "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي"، مجلة عالم الفكر، مجلد: 16، عدد: 3، 1958. ص ص. 3-22.
- رشدي صالح:** "الفولكلور والتنمية"، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1976. ص.
- كمال، صفوة:** "الرمز والأسطورة" في المجتمعات البدائية، مجلة عالم الفكر، مجلد 9 عدد: 4، سنة: 1989، ص ص. 181-224.

الناجي، سعيد: "صناعة الفرجة في احتفال سلطان الطلبة"، مجلة: فكر ونقد، عدد: 15 سنة، 1999. ص 79-96.

- "الكوميديا المترجلة في المسرح المصري"، كتاب الهلال، دار الهلال عدد 212، القاهرة، نونبر 1968.

- "مدينة تيزنيت وباديتها في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة"، منشورات كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير 1996،

LAKHSASSI, Abderrahmane : "Réflexions sur la mascarade de Achoura, description de la mascarade de Achoura à Tiznit", *Signes du présent*, n° 6, 1989, PP. 31-39

معاجم :

ابن منظور: لسان العرب، ط. 2، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي، 1997.

مصادر شفوية:

- والدتي مد الله في عمرها؛
- فاطمة الحسين نذ الديخ؛
- ابراهيم بوشي كورمان؛
- محمد بنيدر؛
- حميد بولفول؛
- اكوز محمد؛
- عبد الحميد اضحان ؛
- حسن السماوي؛
- الحسين بوكيل؛
- مجموعة باب المعذر: وهم مسنون من قدماء "ⵎⵓⵎⵉⵏ" يجتمعون يوميا بجانب هذا الباب للعب الورق و الضامة؛
- فعاليات من مختلف طواقم المجموعات الحالية.

الفهرس

شكر وامتنان 5

تقديم 9

1 - الحدث / الموضوع 13

2 - منهجية المقاربة 14

الفصل الأول : عاشوراء 17

تمهيد 19

أولا : طقوس تقديسية 21

I - طقوس الإحجام 22

II - طقوس الإقدام 24

1 - طقوس عامة 24

2 - طقوس محلية 25

ثانيا : طقوس احتفالية 26

I - طقوس احتفالية عامة 27

1 - الشعالة 27

2 - زمزم 31

3 - لعب الأطفال 32

4 - الرقص والغناء 33

5 - الفواكه الجافة 34

6 - إحراق البخور 34

7 - وليمة الذيالة 35

8 - التصدق وصرف الزكاة 35

II - طقوس احتفالية محلية 37

1 - 37

2 - كحل العروس 38

3 - 38

الفصل الثاني : عيمعشار 39

تمهيد 41

أولا : مرحلة الإعداد 44

I - الشخصيات والأدوات 45

- 1 - الطاقم الموسيقي 46
- أ- العازفون على الدفوف 46
- ب- الطبالون 47
- ج - العازفون على الناي 48
- د - العازف على الناقوس 49
- هـ - حاملوا الأعمدة الخشبية 49
- و - الحاج 50
- 2 - طاقم المجسمات 52
- أ - الجمل 52
- ب- الحمار 54
- ج - البغل 55
- د - البقرة 55
- هـ - الضبع 56
- و - مركب بحري 56
- تطور طاقم المجسمات 56
- 3 - الطاقم المتجول 58
- أ - الحزان 59
- ب -توايا "تواله" 60
- ج - اشميعة 61
- تطور الطاقم المتجول 63
- II -الأزياء والأقنعة 63
- 1-الأزياء 64
- 2-الأقنعة 66
- 3 - اكسيسوارات أخرى 67
- ثانيا : مرحلة العروض 70**
- I - العروض الموسيقية الراقصة 71
- 1 - عروض تمهيدية +o8LloC+ 72
- 2- العروض الرئيسية %C%O%X 73
- 3-عروض بينية 76
- II -عروض تمثيلية 78
- 1 - الأداء الفردي 79
- 2 - الأداء الثنائي 85
- 3 - الأداء الجماعي 87
- III - عروض موازية 92
- 1 - عروض المجسمات 93

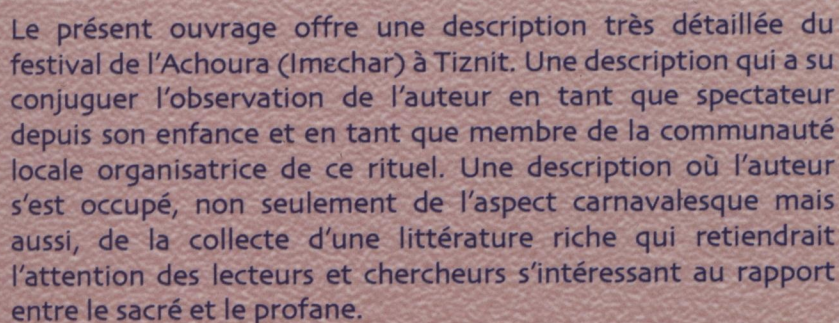
- 93 أ - الجمل
 94 ب- الحمار و البغل
 95 ج - الضبع
 95 د - البقرة
 96 هـ - البابور
 96 2- عروض أخرى
 99 IV - النصوص
 100 1 - النصوص المنظومة
 106 2 - النصوص غير المنظومة
 106 أ - الإعداد للحرث
 107 ب- تعشير المحاصيل

 109 ثالثا : طقوس الاختتام
 109 I - اختتام السهرات
 111 II - وليمة الاختتام

 115 رابعا : في الخاتمة : من عيمعشار إلى كرنفال
 121 ملاحق
 123 I - النصوص
 123 1 - نصوص معربة
 131 2 - نصوص غير معربة
 136 3 - مقاطع بالعربية الدارجة

 137 صور من بعض العروض
 145 بيبلوغرافيا

Итого: 54 000 руб. 00 коп.



32 DH